



85
0





الحُبُّ وَالْجَمَالُ

عند العرب

بقلم

الحمد لله رب العالمين

عيسى البابی الحلبی وشركاه

حقوق الطبع محفوظة لجامعة
١٣٩١ هـ ١٩٧١ م

تمهيد لفكرة الكتاب^(١) :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي حكم بعدله فقهر ، ودبر بلفظه فيسر ، وألف بين من شاء من أحبائه وجعلهم أحبباً ، وجعل لمجالس الأنس من الفضلاء والندماء ألباباً ، فهم يتذكرون النوادر والأخبار ، ويقتنمون في تلك الأوقات منادمة الأصحاب وتفاشد الأشعار . أحده على كلّ نعمة ، وأشكره إذ جعلنا من خير هذه الأمة ، وأستغفره من كلّ ذنب يوجب النعمة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تجيرني من الخطايا والزلل ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبرأ من النقص والخلل ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه التابعين وتابع التابعين . وبعد : فهذا مجموع يشتمل على فصول تحوى مقاطيع راقية ، وقصائد فائقة ، من كلّ لفظ بدیع ومعان كأنها زهر الربيع ..

(١) عثرت اللجنة بين مخلفات المؤلف على الجزء الأول من مقدمة لهذا الكتاب ، ولم نجد أثراً لبقية أجزاء المقدمة . ولعله رحمه الله ترك استكمالها حتى يتم جميع مواد الكتاب . ولما لم يعمل الأجل تحقيق ما توخاه ، آثرنا إثبات هذا الجزء من المقدمة كما وجدناه ..

دعاء مأثور

من أفضل ما سئل الله - عزّ وجلّ - حبّه وحبّ من يحبّه وحبّ عمل يقرب إلى حبّه .
ومن أجمع ذلك أن يقول المرء في دعائه :

اللهم إني أسألك حبّك ، وحبّ من يحبّك ، وحبّ عمل يقربني إلى حبّك .
اللهم ما رزقتني مما أحبّ ، فاجعله قوّة لي فيما تحبّ . وما زويت عني مما أحبّ ،
فاجعله فراغاً لي فيما تحبّ .

اللهم اجعل حبّك أحبّ إليّ من أهلي ومالي ، ومن الماء البارد على الظمأ .
اللهم حبّيني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين .
اللهم أحى قلبي بحبّك ، واجعلني لك كما تحبّ .
اللهم اجعلني أحبّك بقلبي كلّه ، وأرضيك بمجهود كلّه .
اللهم اجعل حبي كلّه لك ، وسعي كلّه في مرضاتك .

بقلم الأديب الشاعر
الأستاذ عبد السلام شراب
عضو اللجنة التيمورية والمحور بالأهرام

لم يكن عجباً ، أن يعنى بأمر الحبّ والجمال ، عالم أديب ، حجة في اللغة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون ، واشتهر إلى ذلك بالتزام الوقار والمحافظة على التقاليد الدينية والاجتماعية ، هو المفور له العلامة « أحمد تيمور باشا » صاحب هذا الكتاب .

فن قبل ذلك بمئات السنين ، عنى بأمر الحبّ والمحبين ، كثير من أكابر العلماء والأدباء ، وذوى المكانة الرفيعة والكلمة الموقرة المطاعة ، في شئون الدين وشئون الدنيا على السواء .

وسيطالع قراء الكتاب ، فيما تضمّنه من آراء وأحاديث ونوادر وأشعار وغيرها ، أسماء عشرات من هؤلاء وهؤلاء ، وفي مقدمتهم : أنبياء وخلفاء وسلاطين ، وفلاسفة وفقهاء ومتصوفون ، بل سيجدون كذلك أن موضوع الحبّ والمحبين قد اختصّ بكتاب كامل من أهم كتب التراث العلمى والأدبى العربى ، هو كتاب « طوق الحمامة في الألفة والألاف » الذى قام بتأليفه منذ أكثر من تسعمائة سنة أحد أئمة المسلمين المشهود لهم بالورع والتقوى والافتداء ، هو الوزير الفقيه الفياسوف أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى ، وقد فصل فيه عناصر الحبّ وصفاته وآفاته ، وساق أمثلة من تجاربه الخاصة فيه ، وملاحظاته على المحبين من أهل عصره ومخالطيه ، وأكد بالأدلة القاطعة المقبولة ، أن « الحبّ ليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة » .

وتعرّضت كتب أخرى كثيرة ، لهذا الموضوع الشائق ، منها كتاب « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » ، للعلامة الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

والمستقرى لتواريخ الأمم والشعوب ، قديمها وحديثها ، وكبيرها وصغيرها ، لا بدّ واجد أنّها كلّها - دون استثناء - تشترك في معرفة الحبّ ومعاناته ، وفي تقدير أهميته في حياة الفرد والمجتمع . ثمّ هو إلى جانب ذلك لن يفوته أن يلحظ أن « الحبّ والجمال عند العرب » لهما مقام أسنى ومنزلة أعظم . فإذا هو التمس أسباب هذا ودواعيه ، فما أيسر أن يتبيّن فيها توافر للعرب في بيئتهم الخاصة ، من فطرة سليمة وإحساس مرهف ، ومن تذوّق دقيق واع . لما يحيط بهم من روائع الجمال وبدائمه ، متمثلة في مناظر صحرائهم ، بما اشتملت عليه أرضها من رمالٍ وتلالٍ وجبالٍ مختلفة الألوان ، وبما اشتملت عليه سماؤها من غيومٍ ونجوم ، تسحر السيون والألباب .

فإذا أضيف إلى ذلك ما امتاز العرب به من كثرة الترحال والانتقال انتجاعاً للرّزق ، ومن فصاحة اللسان والجنان ، والقدرة على التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم بصدق وإخلاص ، فهذان برهانون آخران على أنّهم خلّقوا ليكونوا أحقّ بالحبّ وأهله ، وأقدر على حمل تبعاته وأصدق تصويراً له وتعبيراً عنه .

وقد تنفّى بجمال الحبّ وحبّ الجمال فطاحل الشعراء العرب ، منذ عصر الجاهلية . ولم تخل من الحديث عن ذلك أو الاستهلال به أكثر القصائد الكبرى التي قدّسها العرب الجاهليون وعلّقوها على الكعبة تشريعاً لأصحابها ، وتقديراً لبلاغتها فيما أكّد كثير من الرواة .

وفي أشهر هذه « المعلقات » يقول امرؤ القيس بن حجر الكندي :

أفاطيمُ : مهلاً ، بعضَ هذا التّدلّلِ وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجملِي
أغرّك مِتي أن حبّك قاتلي وأنك مهمّا تأمرى القلبَ يفعل ؟

ويفتح الحارث بن حلزة اليشكري معلقته بقوله في حبيبته « أسماء » :

أَذَنْتَنَا بَيْنِنَا أَسْمَاءَ رَبِّ نَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ النَّوَاءُ

أما طرفة بن العبد ، فقد أكل معلقته مائة بيت ابتدأها بالشوق إلى « خولة » محبوبته ، فذكر أطلال ديارها ، ومراكبها التي حملها بعيداً منه ، ومراكبه التي يعضى عليها هائماً مشتاقاً إلى اللقاء ، ومطلع معلقته :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِيرَقَةَ شَهْمِدِ تُلُوحُ كَبَاكِ الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

ويقول عنزة بن شداد العبسي في معلقته ، موجهاً الخطاب إلى عبلة ابنة عمه :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلُ مَنِيَّ وَبَيْضُ الْهِنْدِ تَقَطَّرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنْبَا لَمَعَتْ كَبَارِقِ نَعْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ

ويفتح النابغة الذباني معلقته ، بذكر « مية » حبيبته وديارها التي أقفرت من أهلها فيقول :

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالسَّنْدِ أَقَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ
أَضْحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ

ويقول ذو الأصبغ المدواني ، يشكو فراق محبوبته « رياء » :

يَا مَنْ لِقَلْبٍ طَوِيلُ الْبَثِّ حَزُونِ أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا . . أُمَّ هَارُونَ
فَقَدْ غَنِينَا وَشَمْلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا أَطِيعُ رِيًّا ، وَرِيًّا لَا تَعَاصِينِي
تَرْمِي الْوُشَاةَ فَلَا تَخْطِي مَقَاتِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَكْنُونِ

ويقول السموءل بن عاديا من قصيدة له يشكو فيها مرارة العذل ، ويؤكد أنه لن ينتهي عن حب صاحبتة مهما يطل عذله ولومه :

أَعَاذَلْتِي : أَلَا - لَا تَعْدِلِينِي فَكَمْ مِنْ أَمْرِ عَاذِلَةٍ عَصَيْتُ
دَعِينِي وَارْشُدِي إِنْ كُنْتُ أَعْوَى وَلَا تَفْوِي - زَعَمْتِ - كَمَا غَوَيْتُ

أَعَاذِلُ : قد أطلت اللّومَ حتّى لو أُنّي مُنتَهٍ . . . لقد انتَهيتُ
وحتّى لو يَكُونُ فتى أناسٍ بكى من عَذلٍ عَاذِلِهِ ، بَكَيتُ
وأى تعبير عن الحبّ ، أرقّ وأعذبُ وأنفذ إلى القلوب قبل الأسماع ، مما عبّر عنه
الشاعر الجاهلي النخل اليشكري في بساطة محبّةٍ ، فقال :
وأحبّها ، وتحبّني ويحبُّ ناقَهَا بعيرى !

وإذا كان هذا هو شأن « الحبّ عند العرب » في جاهليّتهم فلا شكّ في أن حظهم منه
قد أصبح أوفر ، بعد أن جاء الإسلام فألّف بين قلوبهم ، ورّقق من طباعهم وسما بهم درجات
في تنظيم العلاقات بين الجنسين . وقرّر للمرأة حقوقاً لم تكن لها قبله ، وحرّم البناء .
وأوجب معاشرّة النساء بالمعروف ، أو مفارقتهنّ بالمعروف .

وقد استوصى النّبي عليه الصّلاة والسلام بالنساء خيراً ، وقرّر أن « خير متاع الدّنيا
المرأة الصّالحة » . وقال : « حُبِّبَ إلَيَّ من دنيّاكم ثلاث : النّساء والطّيبُ وقُرّةُ عيني
في الصّلاة » .

وجاء الخلفاء الراشدون ، فتهيجوا نهجه ، واتّبّعوا سنّته . وأصبح معنى الحبّ مرادفاً
لمعنى العفة والرّغبة في استكمال الدين عند المسلمين .

وقد روى أن الخليفة الثّاني عمر بن الخطّاب رضی الله عنه ، أصاب في زمانه ناساً من
هُذَيْلٍ ، فخرّجت جارية منهم ، فاتبعها رجلٌ يريدّها عن نفسها ، فرمته بحجر ففضّت
كبده . فقال عمر : هذا قتيل الله ، والله لا يودى أبداً .

كذلك أفتى عبّـد الله بن عبّاس رضی الله عنهما - بأنّ قتيل الهوى لا دية فيه
ولا قصاص .

وفي أخبار الوالى العربى زياد بن أبى سفيان ، أنه قال لجلسائه يوماً : من أنعمُ الناس
عيشة ؟ قالوا : أمير المؤمنين . فقال وأين ما يأتى من قريش ؟ قالوا : إذن أنت . فقال :
وأين ما ألقى من الخوارج والثّغور ؟ قالوا : فن أنعمُ النّاس عيشة أيّها الأمير ؟ فقال :

رجل مسلم ، له زوجة مسلمة ، لها كفاف من العيش . وقد رضى به ورضى بها ، لا يعرفنا ولا نعرفه .

وقد حرص أكثر الشعراء العرب بعد الإسلام على التزام ما كان عليه أسلافهم قبله ، من استهلال قصائدهم بالغزل والتشبيب بالنساء .

وروى أن النبيّ - صلوات الله وسلامه عليه - أعرب عن استحسانه هذا التقليد الأدبي ، حينما أنشده الشاعر كعب بن زهير قصيدته التي مدحه فيها واستهلها بقوله :

بَانتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَفْدَ مَكْبُولُ
وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَغْنَى غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

وكان الخليفة العباسي هرون الرشيد يقسم أعوام حكمه : عاماً لحج البيت الحرام ، عاماً للجهاد في سبيل الله . ومع هذا كان يستحسن أشعار الغزل ووصف لواضع الحب ، ويميز عليها ويرويها . بل كان هو نفسه فيما يقول الرواة يسابق الشعراء في هذا المضمار فيقول :

مَلَكَ الثَّلَاثَ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَلَنِي مِنْ قَلْبِي بِكَلِّ مَكَانِ
مَالِي تَطَاوَعِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأُطِيعَنَّ وَهْنِي فِي عِصْيَانِي ؟
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى وَهُوَ الضَّعِيفُ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي !

وقد حفل تاريخ الأدب العربي بروائع خالدة من قصص الحب وأبطاله وبطلاته ، وكثير منهم ينطبق عليهم القول المأثور : « من أحب فعف فمات ، مات شهيداً » وما زالت قصصهم تضرب مثلاً على الإخلاص والوفاء .

من هؤلاء : مثلاً : جميل بن معمر صاحب بثينة الذي يقول فيها :

وَإِنِّي لِأَرْضَى مِنْ مُبْتَنَّةٍ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرُهُ الْوَاضِي لَأَقَرَّتْ بِلَابِلِهِ
بـ « لا » ، وبألا أستطيع ، وبألني وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى وأخيره لا نلتقى وأوائله

وكان يرضى منها بالقليل كما أشار في البيتين ، وكما قال في بيت آخر :

أُقْلِبُ طَرْفِي ، فِي السَّمَاءِ لَعْلَهُ يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ يَنْظُرُ

ومنهم جميل وبثينة ، من قبيلة عذرة المشهورة بالعشق والجمال ، وقد تحاببا صغيرين ، فلما كبر خطبها ، فرفض أهلها أن يزوجوها ، ومنعوه رؤيتها ، وهددوه بالقتل فلم يعبأ بتهديدهم ، ولامه أبوه على استهتاره ومخاطرته بنفسه ، فردّ عليه قائلاً :

« يَا بَتِّ : هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا قَدَرَأَنَ يَدْفَعُ عَنْ قَلْبِهِ هَوَاهُ ، أَوْ مَلَكَ أَنْ يَسْلِيَ نَفْسَهُ .
وَاللَّهِ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَحْصُو ذِكْرَهَا مِنْ قَلْبِي ، أَوْ أَزِيلَ شَخْصَهَا مِنْ عَيْنِي ، لَفَعَلْتُ . وَلَكِنْ
لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ بَلَاءٌ قَدْ بَلَيْتَ بِهِ لَحِينَ قَدْ أُتِيحَ لِي . عَلَى أَنِّي أُمْتَنِعُ عَنْ طُرُقِ
هَذَا الْحَيِّ وَالْإِلْمَامِ بِهِ وَلَوْ مِتَّ كَمَدًّا . وَهَذَا جَهْدِي وَمَبْلَغُ مَا أَقْدَرُ عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ عَلَى حَبِّهِ
لَهَا حَتَّى قَضَى أَسَى وَلَوْعَةِ لِفِرَاقِهَا .

ومنهم قيس لبني . وكان قد تزوجها . وسعدا بتبادل الحبّ حيناً ، ثمّ طلقها نزولاً
على إرادة أبيه . ولم ينفعه الندم بعد ذلك فهام على وجهه ينشد الساوان . ولكنه لم يستطع
صبراً على فراقها ، وظلّ يذكرها حتى مات .

ومنهم توبة بن الحمير وصاحبته ليلي الأخيلىّة ، وفيها يقول :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَكَمَتْ عَلَى وَدُونِي تُرْبَةً وَصَفَائِحُ
لَسَاَمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ . . زَقَا إِلَيْهَا صَدْدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ

ومنهم كثير وصاحبته عزة ، وعمر بن أبي ربيعة وصاحبته الثريا ، وقيس بن الملوّح
مجنون ليلي ، وقيس بن ذريح وصاحبته لبني ، وعروة بن حزام وعفراء ، وكثير غيرهم
من العشاق العرب في مختلف العصور والبلدان .

ولقد كان صاحب هذا الكتاب ، يعدُّ في طليعة المشهود لهم بالتعمق في دراسة تاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وفنونهم، وسبق أن أخرجت له لجنة نشر المؤلفات التيمورية طائفة من الكتب القيمة في جمهرة من هذه الفنون والآداب والعلوم ، آخرها « الموسيقى والفناء عند العرب » أما هذا الكتاب « الحبّ والجمال عند العرب » فقد عثرت اللجنة على أكثر أصوله بخطّ المؤلّف بين ما خلف من مخطوطات لم يقدر لها أن تطبع في حياته . وقد جمع رحمه الله هذه الأصول من مئات الكتب والمخطوطات التي اشتملت عليها مكتبته . وترك جزازات أشار فيها إلى موضوعات مماثلة في كتب ومخطوطات أخرى كان يعزّم إضافتها إلى الأصول ، فتولّت اللجنة هذه المهمة لتكمل الكتاب على النحو الذي أراده .

والكتاب يشتمل على عشرة أبواب : أولها في « صفات الحبّ وأغراضه » . وفيه فصول متفرقة أهمّها عن ماهية الحبّ ومعنى الحبّ والمحبوب وعشق الشرف وعشق الجمال وأحلام المحبّين والحبيب الأوّل والحبيب الآخر والحبّ مع اختلاف الدين

والباب الثاني عن « أنواع الحب » وتندرج تحته فصول عن حبّ الولد وحبّ الأيّم واليتامى ، وأمثال في الحبّ ، وحجة بالغة .

والباب الثالث عن « حبّ الأزواج » وفيه فصول عن زواج النبي من خديجة وحبّها له وتقديره لها وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، على اختلاف ألوانه .

والرابع عن « الشعراء العشاق » وما قيل منهم في معشوقاتهم .

والخامس عن « الحب والجمال » وفيه فصول حبّ امتداح النساء ووصف جمالهن على اختلاف في ألوان الوصف والتشبيه وأسماء النساء .

والسادس عن « الغزل ووصف النساء » .

والسابع عن « العيون وما قيل فيها » ثراً ونظماً مع رسالة في معاني لفظ « العين » وآفة النظر وغائلته .

والثامن عن « تعدد الزوجات والأزواج » وفيه فصول عن حكمة التعدد في الإسلام إلى كشف وجه المرأة في الإحرام .

والتاسع عن « عداوة النساء » وأن طاعتهم تردى العقلاء وتذلّ الأعزاء .
أمّا الباب العاشر فحوى « طرائف عن الحب » وفيه فصول عن للمرأة بين الحب والمال
ومن الحبّ إلى الزهد وغيرها من ضروب أخرى إلى محبة الأعداء .
وإنّا لملئ يقين من أن هذه الأبواب والفصول كلّها — وقد اجتمعت مفصّلة وموضّحة
في هذا الكتاب الجديد — جديرة بأن تجعله — كما أراد مؤلفه العلامة المحقق المنفور له
أحمد تيمور باشا رحمه الله — ذا نفع كبير للأدباء والمتأدّين ولقراء العربية أجمعين ،
والله وليّ التوفيق .

صفات الحب وأغراضه

الحب ما هو ؟

قال أبو بكر الورّاق : سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرّاستين عن الحب ما هو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء ، فتتحرك لإشراقها طبائع الحياة . فيصوّر من ذلك خلُقٌ حاصرٌ للنفس متّصل بخواطرها يسمّى الحب .

وسئل حمّاد الزّاوية - عن الحب ما هو ؟ فقال : الحب شجرة أصلها الفكر . وعروقها الذّكر ، وأغصانها السّهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها النّية .

وقال معاذ بن سهل : الحبُّ أصعب ما رُكِبَ ، وأسكّر ما شرب . وأقطع ما لقى ، وأحلى ما اشتهى ، وأوجع ما بطن ، وأشهى ما علن . وهو كما قال الشاعر :

واللحِبُّ آفَاتٌ إِذَا هِيَ صرَّحتْ تَبَدَّتْ عِلَامَاتُهَا غُرُورٌ صُفْرُ
فِبَاطِنُهُ سُقْمٌ وظَاهَرُهُ جَوَى وَأَوَّلُهُ ذِكْرٌ وَآخِرُهُ فِكْرُ

وقال بشار العبلي :

هل تعلمين وراء الحبّ منزلةً تُدْنِي إِلَيْكَ فَإِنَّ الحبَّ أَقْصَانِي

وقال غيره :

أَحْبَبُ حُبًّا لَوْ تُحْبِبِينَ مِثْلَهُ أَصَابَكَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى جُنُونُ
لَطِيفًا مِنَ الْأَحْشَاءِ ، أَمَّا نَهَارُهُ فَدَمْعٌ ، وَأَمَّا كَيْلُهُ فَأَيْنُ

وقال الفقيه الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، في كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف : الحبُّ أوّلُهُ هزلٌ وآخرُهُ جدٌّ . دَقَّتْ معانيه - لجلالتهَا - عن أن توصف

فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة . وليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحذور في الشريعة .
إذ القلوب بيد الله عز وجل .

وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير .

وأفتى ابن عباس بأن قتل الحب لا دية له . والحب اتصال بين أجزاء النفوس .
وقال الله عز وجل :

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... » .
والحب علامات منها : إدمان النظر إلى المحبوب والإقبال بالحديث إليه ، والإنصات
إلى حديثه ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار .

ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه : التعفف ، وترك ركوب المعصية والفاحشة .
وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَبْعَةٌ
يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إمام عادل ، وشاب نشأ في طاعة الله عز وجل
ورجل قائبه معلق بالمسجد إذا خرج منه لا يلت حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله
اجتمعا على ذلك وتفرقا ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل تصدق فأخفى حتى
لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

الحب والمحبوب^(١) :

قولهم : أحببت حبا : الحب ليس بمصدر لأحببت ، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحبوب ،
ولذلك جاء على وزنه مضموم الأول ومن ثم جمع كما يجمع الشغل ، قال : ثلاثة أحباب : حب
علاقة ، وحب لخلاق ، وحب هو القتل .

وكما كان الفعل أعم وأشيع ، لم يكن لذكر مصدره معنى . ولولا كشف الشاعر
لاختلاف أنواع الحب ماكدنا نعرف مافيه من العموم وأنه - في معنى الشغل كما تقدم .

(١) بدائع الفوائد ص ٨٥ :

وقد أنشدوا في الصحاح بيتين هما :

أَحِبُّ أبا مروان من أجل تَمَرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الحُبَّ بالمرء أَرْفَقُ
ووالله لولا تَمَرُهُ ما حَبَبْتُهُ وَكان عِيَاضٌ مِنْهُ أَذْنَى وَمُشْرِقُ

ولما جاءوا إلى اسم الفاعل - أتوا بالاسم الرباعي حتى كأنهم لم ينفقوا بالثلاثي فقالوا :
حَبَّبْتُ ولم يقولوا : حَبَّبْتُ أصلاً . وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي - في الأكثر
فقالوا : محبوب ، ولم يقولوا : مُحَبَّبٌ - إلا نادراً كما قال :

ولقد نزلت فلا تظنني غيرهُ مني بمنزلة المحبِّ المكرَّم

فهذا من : أحببت - كما أن المحبوب من : حَبِبتُ ، ثم استعملوا لفظ الحبيب في :
المحبوب ، أكثر من استعمالهم إياه في المحبِّ ، مع أنه يطلق عليهما .

فمن بجيئه بمعنى المفعول قول ابن الدُّمَيْنَةِ :

وَإِن السَّكِيثَ الْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ الْحَمَى إِلَى وَإِن لَمْ آتِهِ لَحَبِيبُ

أى : للمحِبُّوب . ومن بجيئه للفاعل - قول المجنون :

أَتَهَجَّرُ كَيْلَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كُلُّ نَفْسٍ بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ

فهذا بمعنى : محبها . وربما قالوا للحبيب : حَبَّبْتُ : مثل خدن ، نَفَدْتُ وخَدِينْتُ مثل :
حَبَّبٌ وحبيب . وإذا ثبت هذا فقوله : الحَبَّبُ ليس بمصدر لأحببت ، إنما هو عبارة عن الشغل
بالمحِبُّوب ، وأجروه على الفعل الرباعي استثناءً عن مصدره ، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم
بالحُبِّ والسَّنَتِمْ به ، فاستعملوا منه أَحَبَّ المصدرين استثناءً به عن أَثْقَلِهما .

فلما كان الحَبَّبُ ملازماً لذكر محبوبه ، ثابت القلب على حبه ، مقيماً عليه لا يروم عنه
انتقالاً ولا يبغي عنه زوالاً ، اتَّخَذَ له في سويداء قلبه وطناً ، وجعله له سكناً ، حيث
قال :

تَزُولُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ وَقَلْبُهُ عَلَى الْمَهْدِ لَا يَلْوِي وَلَا يَتَنَيَّرُ

وفي شرح لامية المعجم . . للصفدي :

فالحبُّ حيث العدا والأسدُ رابضةٌ حول الكِنَاسِ لما غابَ مَنْ الأسَلِ

الحب - بالضم : المحبة ، وبالكسر : الحبيب نفسه . قال ابن الأنباري :

« الحب هو الحبيب . يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد » . ويحكي عن بعض العرب أنهم يقولون : فلانة حَبَّتِي .

عشق الشرف وعشق الجمال :

قال عروة بن الزبير رحمه الله : « ما عشقت من امرأة قط إلا حسن شرفها ، فأنتي لأعشق الشرفَ كما أعشقُ الجمال » .

وإنما أراد الحسب ، وصراحة النسب ، كما قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : « ما عشقت من امرأة قط إلا حسبها » .

وقال كثيرُ الشاعر :

وأنت التي حببتِ كلَّ قصيرةٍ إليّ وما تدري بذاك القصائرُ

ولم يرد : القصيرة القدة ، وإنما أراد القصورة في الجمال ، من قولك : قصره ، إذا حبسه .

والقصورة هي : المحجوبة . ومنه قول الله تعالى : « حورٌ مقصوراتٌ في الخيام » أي :

محبوسات . وقوله تعالى : « فيهن قاصراتُ الطرفِ » أي : قصرن نظرهن على أزواجهن فلا يبنين بهن بدلاً .

ويدل على مراد كثير في بيته ، قوله في البيت الذي بعده :

عنيْتُ قصيراتِ الحجالِ ولم أردُ قصارَ الخطى، شرَّ النساءِ البحائرُ

والبحائرُ : القصار .

أحلام المحبين :

كان أبو القاسم عليّ الشريف المرتضى شاعراً عفاً اللسان، يهوى الحُسن أينما وجدّه، وينحو فيه منحى طاهراً بريئاً. واشتهر بحبّ الجمال المُذريّ... وقد عشقَ الأدبَ الرفيع، كما عمّرَ فوقَ الثمانينَ عاماً، حيث ولد سنة ٣٥٥ وتوفى سنة ٤٣٦ هـ - ومن شعره :

ضنّ عني بالنزّر إذ أنا يقظاً . نُّ وأعطى كثيره في المنامِ
والتقينا كما اشتبهنا ولا عيِّ مَبَ سَوَى أن ذاك في الأُحلامِ
وإذا كانتِ الملاقاةُ ليلاً فالليالي خير من الأيامِ
وقال الشريف الرضي (أخوه) وكان شاعراً مثله يتفق معه في هواه وحبّه وعيشته
للحُسنِ والجمال :

بِتَنَّا ضِجِيْعَيْنِ فِي ثَوْبِي هَوَى وَتُفَى - يَلْفُنَا الشَّوْقُ مِنْ فَرْقِي إِلَى قَدَمِ
وَبَاتَ بَارِقُ ذَاكَ الثَّغْرِ يُوضِحُ لِي مَوَاقِعَ اللَّثَمِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

الحبيب الأول والحبيب الآخر :

قال حبيب الطائي :

نَقَلْ فَوَادِكَ حَيْثُ شَتَّ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلِفُهُ الْفَتَى وَحِينَهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ
وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ شُعْرَاءُ آخَرُونَ . فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ :

افخرَ بآخر من كلفت بحبّه لا خيرَ في حبِّ الحبيبِ الأوَّلِ
أنشكُ في أنَّ النبيَّ مُحمّداً سادَ البرية وهو آخرُ مُرسَلٍ ؟

(٢ - الحب والجمال)

ومنه قول ديك الجن الحمصي :

كذب الذين تحدّثوا أنّ الهوى لا شكّ فيه للحبيب الأول
ما لم أحنّ إلى خراب مقفر درست معاليه كأنّ لم يؤهل

فقال حبيب « حين بلنه قول ديك الجن » :

كذب الذين تخرّصوا في قولهم ما الحبّ إلّا للحبيب الأول
أو طيّب في الطعم ما قد ذقتّه من ما كلّ أو طعم ما لم يؤكل

قال الملوّى الأصهباني^(١) :

دع حبّ أوّل من كلفت بحبه ما الحبّ إلّا للحبيب الآخر
ما قد تولّى لا ارتجاع لطيبه هل غائب اللذات مثل الحاضر ؟
إنّ المشيب وقد وفّى بمقامه أوفى لدىّ من الشّباب النادر
دُنْيَاكَ : يومك دون أمسك فاعتبر ما السالف المفقود مثل الغابر

الحبّ مع اختلاف الدين :

قال أبو الطحّان الأسديّ ، وكان نديماً لناسٍ من النصارى :

كأنّ لم يكن في القصر ، قصر مقاتل وزورة ظلّ ناعم وصديق
معى كلّ فضفاض الثياب كأنّه إذا ما جرى فيه المدام فتيق
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

والشيخ رجب الحريري قصيدة يصف فيها حبه لفتى نصراني يقول فيها :
 أرقُّ من رَوْحِ الصَّبَا وَأَطْيَبُ كَلَاءُ جَسْمًا بِاللَّحَاطِ يُشْرَبُ
 وَلَفْظُهُ السَّخَرُ الْحَلَالُ يَطْرَبُ سَكْرَتُ مِنْهُ وَهُوَ شَهْدٌ يَعْدُبُ
 فَاعْجِبْ لُشْهْدٍ مُسْكِرٍ مِنْ سِجَرٍ
 قَابِلَتُهُ بِأَحْسَنِ الْكَلَامِ مَرْحَبًا مُعْظَمًا مَقَامِي
 وَوَجْهُهُ الْوَضَّاحُ فِي ابْتِسَامٍ وَخَصَنِي بِاللُّطْفِ وَالْإِكْرَامِ
 وَبِالْجَمِيلِ وَالْحَيَا وَالْبَشْرِ

الحبُّ في كلِّ حال :

قال عنترة العبسيُّ به يصف حبه لعلبة ابنة عمه ، على ظُلُمِهَا إِيَّاهُ :
 أُحِبُّكَ يَاظُلُومُ وَأَنْتَ مَنِّي مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ
 وَلَوْ أَنَّي أَقُولُ : مَكَانَ رَوْحِي لَخِفْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الطَّعَانِ
 وقال بعضهم ، في الوداع :
 وَدَعْتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا وَرَحْتُ وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمُ
 سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ عَلَيَّ إِذْ رَاخُوا . . فَمَا سَكَمُوا
 وَاسْتَحْسَنُوا ظُلْمِي فَمِنْ أَجْلِهِمْ أَحَبَّ قَلْبِي كُلَّ مَنْ يَظْلِمُ
 وقال دُعْبُلُ الْخَزَاعِي :
 وَقِفْ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مَتَاخَرُ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمُ
 أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لَذِكْرِكَ فَلْيُكْنِ الْلُؤْمُ
 وَأَهْنِئْنِي ، فَأَهْنَتْ نَفْسِي صَاغِرًا مَا مِنْ يَهْوٍ عَنْكَ يَمْنُ يُكْرَمُ

حب النساء المال :

قال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي أَنْسَابِ قُرَيْشٍ ^(١) : كَانَ « نُبَيْهٌ » وَأَخُوهُ مِنْبَهُ « مِنْ وَجْهِهِ قُرَيْشٌ ، وَذَوِي النَّبَاهَةِ فِيهِمْ ، وَلَكِنَّهُمَا قُتِلَا « بَيْدَرٌ » كَافِرَيْنِ ، وَكَانَا مِنَ الْمُطْعِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ .

لَقَدْ كَانَ « نُبَيْهٌ » بِضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ بَعْدَهَا « يَاءٌ » سَاكِنَةٌ « فَهَاءٌ » وَكُنْيَتُهُ « أَبُو الزَّرَّامِ » بِتَشْدِيدِ الزَّيِّ الْمَعْجَمَةِ ، ابْنُ الْحِجَاجِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ خُذَيْفَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنِص « بِالتَّصْنِيرِ » بَنُ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ . وَكَانَ نُبَيْهٌ شَاعِرًا مُطْبُوعًا عَلَى الْإِجَادَةِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ ثَعْلَبٍ كَانَ يَقُولُ :

تلك عرساي تنطقان لهجره وتقولان قول أثره وعثره

فَقَالَ نُبَيْهٌ مِنَ الْقَافِيَةِ تَقْسِمًا ، فِي زَوْجَتَيْهِ وَقَدْ سَأَلَتْهُ الطَّلَاقُ :

تلك عرساي تنطقان على عمة	يا أن اليوم قول زور وهثر
سألتاني الطلاق أن رأنا ما	لي قليلاً . . قد جثمتني ينكر
فلعل أن يكثر المال عندي	ويعرى من المنار ظهري
وترى أعبد لنا وأواق	ومناصيف من خوادم عشري
ونجبر الأذيال في نعمة ثم	تقولان : ضع عصاك لذهري
وي كأن من يكن له نسب	يحبب ومن يفتقر يعيش ضر
ويحبب سر النجى ولكن	أخا المال محضر كل سر

ومن شعره :

قصر الشيء بي ولو كنت ذاماً	ل كثير لأجلب الناس حولي
ولقائوا : أنت الكريم علينا	ولخطوا إلى هواي وميلي
ولكيت المعروف كيلاً هنيئاً	يُعجز الناس أن يكيلوا كليل

(١) فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ ج ٣ .

وله أيضاً :

قالت سُلَيْمَى يوم جئتُ أزورها لا أبتنى إلا امرأ ذامالٍ
لا أبتنى إلا امرأ ذاً أنضُرَ كما أسدٌ مفارقٍ وخِلالي
فلاحرصنَّ على اكتسابٍ مُحَبَّبٍ ولاكسبنَّ في عَفَّةٍ وجمالٍ

في خلاصة الأثر ج ٢ :

كان الأديب حُسَيْن بن أحمد بن حُسَيْن المعروف «بابن الجزري» الشاعر المشهور الحلبيُّ أحد المجيدين ، جمع شعره بين الصناعة والرفقة . كان إذا تكلم لا يظنه الإنسان يعرف شيئاً ، وكان له خطٌّ نسخيٌّ غايةً في الحُسْن إلا أنه كان شديد الأخلاق أحياناً ، وكان مغرمًا بشعر أبي العلاء المرسي ، كثير الأخذ منه ، وأخيراً رآه في منامه وقرأ عليه اللزوميات . وسمعه يقرر في تلك الرؤيا : أن الخير كلُّه أخير فيما أكرهتك النفس الطبيعية عليه ، والشرُّ كلُّ الشرِّ فيما أكرهتك النفس عليه .

ومن شعر ابن الجزري :

إن كنت متخذاً لجرحك مَرَهَمًا فكتابُ ربِّ العالمين المَرَهَمُ
أو كنت مصطحباً حبيباً سالِكًا سُبُلَ الهَوَى فلزومُ ما لا يلزمُ

ومن شعره في النزول :

ما عشتُ من ألمِ الفراقِ لو لَمْ أَطِلْ أَمَلِ التلاقِ
فأظُلَّ كاللُسُوعِ من أفعى النَّوى ، ورجاى راقِ
يا ثالثَ القمرين إلا في الكسوفِ وفي المحاقِ
حتام دمعى فيك لا يرقا . . ورؤى في التراقِ
والأمَّ يَسْتَسْقِي الفؤا دُ ظمًا ، وأجفاني سواقِ

وغريق دمع العين لا تلقاه إلا في احتراق
والحب ما أروى الضأو ع جوى ، وما أروى الآق
فَعَسَاكَ أَنْ تَجْزَى مُحِبَّةً لَكَ فِي الْحُبَّةِ بِالْوَقَا
ولقد لقيت هواك أء ظم ما لقيت ، وما ألاق
وصبرتُ فيكَ عَلَى الْعِدَا صَبْرَ الْأَسِيرِ عَلَى الْوَثَا
وعلمتُ أَنْ الصبر يا عَذَبَ اللَّعْمَى مُرَّ الْمَذَا
فاعرض عن الإعراض إء راضى لديك عن النِّفَاقِ
وارفق ولو بالإنفا ت على ما بين الرِّفَاقِ
فلقد يكون تَلَفْتُ الْأَعْنَاقِ دَاعِيَةَ الْعُنَاقِ
واستبق مَنى باللقا ء بواقياً ليست بَوَاقِ
أعضاء صب ، ماله إِلَاكَ مِنْ عَيْنَيْكَ وَاقِ
فالبعضُ سودُ عيونها أَمْضَى مِنْ الْبَيْضِ الرِّقَاقِ
وقُدُودُهُنَّ رَوَاشِقُ فِي الطَّعْنِ كَالشُّعْرِ الرِّشَاقِ
وإذا بُليتُ بِمُجْهَنٍّ بُليتُ بِالذَّمْعِ الْمُرَاقِ

ومن جيد شعره قوله :

تتقدَّاك ساقياً قد كساك الـ حُسْنُ مِنْ فَرَقِكَ الْمَضَى لِسَاقِكَ
تُشْرِقُ الشَّمْسُ مِنْ يَدَيْكَ ، وَمِنْ فِي لَكَ الثُّرَيَّا ، وَالْبَدْرُ مِنْ أَطْوَاقِكَ
أَوَّلَيْسَ الْعَجِيبُ كَوْنُكَ بَدْرًا كَمَلًا ، وَالْحَاقُ مِنْ عُشَّاقِكَ
فِتْنَةٌ أَنْتَ إِذْ تُمِيتُ وَتُحْيِي بَتَلَاقِيكَ مِنْ تَشَا ، وَفِرَاقِكَ
لَسْتَ مِنْ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ بَلْ أَنْتَ مَلِيكَ أَرْسَلْتَ مِنْ خَلْقِكَ

الحبّ خضوع النفس :

وكان حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الأهدل
اليميني الحسيني مشهوداً له بتحصيل أنواع العلوم والمعارف ، والنظم والنثر ، وقد رحل
إلى كثير من البلدان ، وأقام بالحرمين ، ثمّ توطّن المَخَا ، وحصل له بها شأن عظيم يغبطه
عليه صفوة أصحابه وأترابه ، إذ كان له يد طوّلى في العلوم الشرعية والفنون العربية ، إلّا
أنّه غلب عليه التصوف ، كما كان متقناً لعلم الأسماء والحروف ودوائر الأولياء ، حتى إنّه كان
زاهداً في الدنيا ، ومن شعره قوله مشطراً فائية ابن الفارض :

قلبي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتَلَفِي عَجَّلَ بِهِ وَلَكَ الْبَقَا ، وَتَصَرَّفِي
قَدْ قُلْتُ حِينَ جَهِلْتَنِي وَعَرَفْتَنِي رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفْ
أَنْتَ الْقَتِيلُ بِأَيِّ مِنْ أَحْبَبْتَهُ فَلَكَ السَّعَادَةُ فِي الشَّهَادَةِ يَا وَفِي
وَلَقَدْ وَصَفْتُ لَكَ النِّرَامَ وَأَهْلَهُ فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مِنْ تَصَطَّفِي

وقال مخمّساً قصيدة ابن النّبيّه :

رَقِمَ الْمَذُولُ زَخَارِفًا وَتَصَنَّمَ وَأَشَاعَ نَقْصَ الْعَهْدِ عَنْكَ وَشَفَعَا
فَأَجَبْتَهُ وَالنَّفْسُ تَقْطُرُ أَدْمَعَا أَفْدِيهِ إِنْ حَفِظَ الْهَوَى أَوْ ضَيَّعَا
مَلِكَ الْفَوَادِ قَاعَسَى أَنْ أَصْنَعَا

حَكَمَ النِّرَامُ فَلَذُّ بِهِ وَبِحَكْمِهِ وَائْتَبْتُ عَلَى مَفْرُوضٍ وَاجِبٍ رِسْمِهِ
وَاخْضَعُ لِعَدْلِ الْحُبِّ فِيهِ وَظَلَمِهِ مَنْ لَمْ يَذُقْ ظُلْمَ الْحَبِيبِ كَظَلَمِهِ
حُلُوءًا فَقَدْ جَهِلَ الْمَحَبَّةَ وَادَّعَى

يَا مَنْ بُلُطْفٍ بِجَالِهِ قَلْبِي أَقْتَنَصُ صَبْرِي عَلَى الْأَعْتَابِ مِنْ جِلْدِي نَكْصُ
وَبَاتُ حُجْلِي حِينَ زَمَزَمْتُمْ رَقْصُ

يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ تَدَارِكُ الصَّ بَرَّ الْجَمِيلِ فَقَدْ عَمَا وَتَضَعُضَا
وَفَرَّتْ مِنْ نَبْلِ الْأَوَاحِظِ أَسْهُمِي وَكَلَّمْتُ أَحْشَائِي وَلَمْ أَتَكَلَّمْ

وَهَجَرْتَنِي ظُلْمًا وَلَمْ أَتَنظَّمْ هَلْ فِي فُؤَادِكَ رَحْمَةٌ لِمُتِّمٍ
ضَمَّتْ جَوَانِحَهُ فُؤَادًا مُوجِعًا

إِنِّي اعْتَرَفْتُ بِزَلَّتِي وَجَنَائِي وَرِضَاكَ مَقْصُودِي وَغَايَةُ غَايَتِي
يَا مَنْ ضَلَّالِي فِيهِ عَيْنٌ هِدَايَتِي هَلْ مِنْ سَبِيلٍ أَنْ أُبْتُ صَبَابَتِي
أَوْ أَشْتَكِي بُلُوْأِي أَوْ أَتَضَرَّعًا ؟

لِي فِي حِمَاكَ مَسَارِحَ وَمَطَامِحَ كَمْ بَتُّ لِلزُّرْلَانِ فِيهِ أَطَارِحُ
يَا قَلْبُ إِنْ الْيَوْمَ طَبِيكَ نَارِحُ يَاعَيْنِ عُدْرَكَ أَنْ حُبِّي وَاصِحُ
كُلِّي لِفُرْقَتِهِ أَرَادَ وَأَزْمَعَا

أَشَقَى النَّاسَ أَهْوَاهَا :

زين الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي الحلبي ، ولد بحلب ونشأ بها وكان
له مذاكرة تأخذ بلبّ الصاحب ومحاضرات وترغّب من محاضرات الراغب ، وله شعر
قصير منه قوله :

كُتِبَتْ وَأَنْسَكَارِي بِحَبِّكَ مُزِّقَتْ كَمَا قَدْ بَدَتْ فِي الْحَبِّ كُلِّ مِمَزَقٍ
وَلَوْ حُمِّ لِيَ التَّوْفِيقُ كُنْتُ تَرَكْتُهُ وَلَكِنِّي أَصْبَحْتُ غَيْرَ مُوْفِقٍ
إِذَا قِيلَ أَشَقَى النَّاسَ مَنْ بَاتَ ذَا هَوًى فَلَا تَفَكَّرْنَ هَذَا الْمَقَالُ وَصَدَقَ

وَقَالَ مِتَنَزَلًا :

سَأَلْتُهَا عَنْ فُؤَادِي أَيْنَ مَسْكَنُهُ فَإِنَّهُ ضَلَّ عَنِّي عِنْدَ مَسْرَاهَا
قَالَتْ : لَدَيَّ قُلُوبُ جَمَّةٍ جَمَتْ فَأَيُّهَا أَنْتَ تَبْنِي ؟ قُلْتُ : أَشَقَاهَا

رابعة العدوية :

روى ابن خلكان قصة « رابعة العدوية » شهيدة الحب الإلهي ، قال :
كانت أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية ، مولاة آل عتيك ، من أعيان
عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة .
وذكر أبو القاسم القشيري في « الرسالة » أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي .. أتحرق
بالنار قلباً يحبك ؟ ... فهتف بها مرة هاتف : ما كنا تفعل هذا فلا تظنني بنا ظنّ السوء !
وكان سُفيان الثوري عندها يوماً ، فقال : واخرناه ! فقالت له : « لا تكذب ، بل
قل : واقلة حزناه ! . لو كنت محزوناً لم يتهياً لك أن تنفّس .
وقال بعضهم : كنت أدعو رابعة العدوية ، فرأيته في المنام تقول : هداياك تأتينا على
أطباق من نور محمرة بمناديل من نور .

وكانت تقول : ما ظهر من أعمالي فلا أعدّه شيئاً .

ومن وصاياها : اكنموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم .

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي - في كتاب « عوارف المعارف » قولها :
إني جعلتكَ في الفؤادِ محدثي وأبختُ جِسمي من أرادَ جلوسي
فاجلسُ مني للجلوسِ مؤانسٍ وحبيب قلبي في الفؤادِ أنيسي

الحب أحسن المعاصي :

في « لوعة الشاكي ودعة الباكي » لابن الصفي :

انتصف الليل ، وأقبلت عساكرُ السعد بالرجل والخيل ، فأمرت صاحبي برفع المدام ،
وتجهيز المرقد للنام ، فرفع الأواني في الحال ، وأقبل على ذلك الشان وطلال ، وعلق في المرقد
نفحات المسك الأذفر ، وأطلق فيه مباخر الند والمدر . ثم قال : أين ترسم لي أن أبيت ؟

فقلت : ثم عندنا لكن خارج البيت ، فأنت ممن تحققنا منه الروعة والشفقة ، فأخرج عناورده
الباب بالحلقة . ففعل ما أمرناه وخرج ، ولم يبق في الصدر هم ولا حرج فقلت لمحبوبي : أما تقوم
بنا لننام ، وأنعم بتقبيل الثمر واعتناق القوام ، فقال لي : أقوم ولكن العناق حرام ، فقلت :
في عنق تكون الأوزار والآثام :

فقام ينهضُ والصَّهْبَاءُ تُقْعِدُهُ سُكْرًا وحاول أن يسعى فلم يُطِيقِ

وقال لي بفتورٍ من لوحظه إن العناق حرامٌ قلتُ : في عنق

فقال : استغفر الله من الفجور والناخط ، ومن وقوعك أيها الإنسان في النلط .

فقلت : لا تظن أن محبتك من المعاصي والسيئات ، واعلم أن هواك من أفضل الفضائل
وأحسن القربات .

أستغفرُ اللهَ إِلَّا مِنْ مَحَبَّتِكُمْ فَإِنِهَا حَسَنَاتِي يَوْمَ أَلْقَاهُ
فإن زعمتم بأنَّ الحبَّ مَعْصِيَةٌ فَالْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يُعْصَى بِهِ اللهُ

الهوى قدر:

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأنخس . قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّدُ
قال : سألت أبا الفضل الرياشي عن معنى قول الشاعر :

الريح تبكي شجوها والبرقُ يلْمَعُ في العَمَامَةِ

فقال : هو عندي كقولهم : ويل للشجي من الخلى . ومعناه : إن البرقَ يضحك

والريح تبكي .

وذهب بعضهم إلى أن المعنى أن الريح تبكي شجوها ، والبرق يبكي أيضاً وهو يلعب

في النمامة .

وأنشدنا أبو بكر الأصبهاني لنفسه :

إِلَّا تَكُنْ فِي الْهَوَى أُرْوِيَتْ مِنْ ظَمًا
لَقَدْ دَلَّتْ عَلَى أَنْ الْهَوَى بَدَلُ
فَحَسَبُ نَفْسِي غِنَى عِلْمِي بِمَوْضِعِهَا
وَأَنْتَ خَالِ وَقَلْبِي ذَا الَّذِي مَلَكَتْ
إِنِّي وَغَلَّةُ نَفْسِي فِيكَ قَائِمَةٌ
وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارٍ لِي فَأَتْرَكُهُ
لَكِنَّهُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ مُمْتَنِعٌ
لَنْ يَضْبُطَ الْعَقْلَ إِلَّا مَنْ يَدْبُرُهُ
كُنْ مُحْسِنًا أَوْ مُسِيئًا وَابْقَ لِي أَبَدًا

وَلَا فَكْتُ مِنَ الْأَغْلَالِ مَأْسُورًا
مِنْ أَجْلِ مَا كَانَ مَرْجُوًّا وَمَحْذُورًا
مِنْ الْهَوَى وَبِأَنِّي كُنْتُ مَعْدُورًا
هَوَاهُ نَفْسُكَ إِكْرَاهًا وَتَخِيرًا
لَمْ تَلَقْ مِنْذُ الْفِتْنَةِ النَّفْسُ تَغْيِيرًا
وَلَا اضْطِرَارٍ أَنَاهُ الْقَلْبُ مَقْهُورًا
فِي الْوَصْفِ قَدَرُهُ الرَّحْمَنُ تَقْدِيرًا
وَلَنْ تَرَى لِلْهَوَى فِي الْعَقْلِ تَدْيِيرًا
تَكُنْ لَدَيَّ عَلَى الْحَالَيْنِ مَشْكُورًا

وأنشدنا لنفسه في مثل هذا :

فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ إِذَا تُجَازَى
فَالْأَهْوَى الثَّقَلَيْنِ جَمْعًا
عَمِدْتُ سَنِينَ اسْتَخْفَى التَّصَابِي
فَلَمْ تُقْلِعْ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى
تَبْغِضَ مَا اسْتَطَعَتْ وَعَشْ سَلِيًّا

وَتَسْلُكُ فِي الْهَوَى سَنَنًا سَوِيًّا
عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ أَكْرَمُهُمْ عَلَيَّا ؟
وَلَا أَرْضَى مِنَ الْوَصْلِ الرِّضِيًّا
خَسِسْتُ عَنْ أَنْ أَحْيَى أَوْ أُحْيَا
فَأَنْتَ أَحَبُّ مَخْلُوقٍ إِلَيَّا

وأنشدنا أبو إسحاق الزجاج قال : أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْغَادِي لِطَيْبَتِهِ
مَا عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدِ أَلَمِ بِهِمْ
حَسْبِي رِضَاهُ ، وَأَنَّى فِي حُبَّتِهِ

عَرَّجَ أُنْبُثَكَ عَنْ بَعْضِ الَّذِي أُجِدُّ
إِلَّا وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدُوا
وَوُدَّهُ آخِرَ الْأَيَّامِ أَجْنَهُدُ

وأنشد سليمان بن عبد الله بن طاهر لأبيه :

أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ غَمْدُهُ لِقَلْبِهِ
فَإِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ قَلْبٌ فَقَلْبُهُ

وَلَا خَيْرَ فِي غَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلُ
هُوَ النَّصْلُ ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِهِ فَضْلُ

أنواع الحب

ضروب المحبة^(١) :

المحبة ضروبٌ: أفضلها محبة المتحايين في الله ، ثم محبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب . ومحبة التصاحب والعرفة . ومحبة البر يصنعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحايين لسرّ يجتمعان عليه ويلزمهما ستره . ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق الناشئة عن اتصال النفوس .

حب الولد^(٢) :

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فقال : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟ قال : ثمارُ قلوبنا ، وعمادُ ظهورنا ، ونحنُ لهم أرضٌ ذليلةٌ ، وسماؤُ ظليمةٌ . فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمتحونك ودهم ، ويحبونك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً ، فيملوا حياتك ، ويحبوا وفاتك . فقال معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت عليّ وإنّي لملوءٌ غضباً على يزيد ، فسألته من قلبي .

فلما خرج الأحنف من عنده ، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

وكان عبدالله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب ، حتى لامه الناس فيه فقال : يلومونني في سالم ، وألومهم وجلده بين العين والأنف سالم وقال : إن ابني سالماً ، ليجب الله حباً لو لم يخفه ما عصاه .

(١) في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم (٢) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ .

وكان يحيى بن اليمان يذهب بولده داوداً كلَّ مذهبٍ حتى قال يوماً : أئمة الحديث أربعة ، كان عبدُ الله ، ثمَّ كان عَلَقَمَةُ ، ثمَّ كان إبراهيمُ ، ثمَّ أنتُ يا داودُ .
وقال : تزوجتُ أمَّ داود ، فما كان عندنا شيءٌ أَلْفُهُ فيه حتَّى اشتريتُ له شِكْوَةً بِدَانِق .

وقال زيد بن عليٍّ لابنهِ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَكَ لِي فَأَوْصَاكَ بِي ، وَرَضِيَنِي لَكَ خُذْ رَيْكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ الْآبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ التَّذْلِيلُ إِلَى التَّفْرِيطِ ، وَخَيْرَ الْآبَاءِ لِلْآبَاءِ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ التَّقْصِيرُ إِلَى الْعُقُوقِ .

وفي الحديث المرفوع : « رِيحُ الْوَلَدِ مِنْ رِيحِ الْجَنَّةِ » . وفيهِ أيضاً : الْأَوْلَادُ مِنْ رِيحَانِ اللَّهِ .

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لما بُشِّرَ بِفَاطِمَةَ : « رِيحَانَةُ أَشْمَهَا وَرِزْقُهَا عَلَى اللَّهِ » .

ودخل عمرو بن العاص ، على مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ بَنْتُهُ عَائِشَةُ . فقال : من هذه ؟ قال : هذه تَفَاحَةُ الْقَلْبِ . فقال له : انْبِذْهَا عَنْكَ ، فَوَاللَّهِ إِنْهَنْ كَيْلِدُنَ الْأَعْدَاءِ ، وَيُقَرِّبُنَ الْبُعْدَاءِ ، وَيُورِثُنَ الضَّعَافَةَ .

فقال له معاوية : لا تقل ذلك يا عمرو : فوالله ما مَرَضَ الْمَرَضَى ، وَلَا نَدَبَ الْمَوْتَى ، وَلَا أَعَانَ عَلَى الْأَحْزَانِ مِثْلُهُنَّ . وَرَبَّ ابْنِ أُخْتٍ قَدْ نَفَعَ خَالَهُ .

وقال المَلَّى الطَّائِي :

لَوْلَا بُنَيَاتُ كَزُغْبِ الْقَطَا يَرْدُدُنَّ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ . فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
وَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تُرَقِّصُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمَا وَتَقُولُ :

إِنَّ بُنَيَّ شَبَهُ النَّبِيَّ لَيْسَ شَبِيهَا بِمَلِيٍّ

وكان الزبير بين العوام يرقص عروّة ابنه ويقول :
أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
الثدء كما الله ربق

وقال أعرابي يرقص ولده :
أعرف منه قلة النعاس وخفة من رأسه في راسي
وقال عبد الملك : أضربنا في الولد حُبنا له ، فلم نؤدبه ، وكان الوليد أدبنا (١) .

* * *

حبّ الأياشي واليتامي :

من بديع أخبار الحكم أن العباس الشاعر توجه إلى الثغر ، فلما نزل بوادي الحجارة ،
سمع امرأة تقول : واغوثاه بك يا حكم ، لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيمنا
وأيتمنا . فسألها عن شأنها . فقالت : كنت مُقبلة من البادية في رفقة ، فخرجت علينا خيل
عدو فقتلت وأسرت ، فصنع قصيدته التي أولها :

تمكمت في وادي الحجارة مُسنداً أراعي نجوماً ما يرين تغيراً
إليك أبا العاصي نصبت مطيتي نسير بهم ساريا ومهجراً
تدارك نساء العالمين بنصرة فإنك أحرى أن تغيث وتنصراً

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ، ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه ،
فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد ، فخرج بعد ثلاث إلى وادي الحجارة ، ومعه
الشاعر . وسأل عن الخيل التي أغارت من أي أرض العدو كانت ؟ فأعلم بذلك ، فزأ
تلك الناحية ، وأثنخن فيها ، وفتح الحصون والديار ، وقتل من العدو عدداً كثيراً . وجاء
إلى الوادي فأمر بإحضار المرأة ، وجميع من أسره له أحد في تلك البلاد ثم أمر بضرب

(١) يريد بالوليد ابنه « الوليد بن عبد الملك » . (٢) في نفع الطيب ج ١ ص ١٦٢ .

رقاب الأسرى بحضرتهم ، وقال للعباس : سلها هل أغاثها الحكم ؟ فقالت المرأة وكانت نبيلة : والله لقد شفى الصدور ، وأنكى العدو ، وأغاث الملهوف ، فأغاثه الله وأعز نصره .

فارتاح لقولها ، وبدأ السرور في وجهه وقال :
 ألم تر يا عباس أني أجبتها على البعد أفتاد الخيس المظفرا
 فأدركت أوطارا . وأبردت غلة ونفست مكروبا وأغنيت معسرا
 فقبل عباس يده وقال : نعم ، جزاك الله خيرا عن المسلمين .

* * *

أمثال في الحب^(١)

قول لسان الدين الخطيب :
 أصناف المحبين والعشاق كثير ، بحيث يشق إحصاؤهم ، ولا يتأتى استقصاؤهم . كما أورد
 أبياتا من قصيدة أبي فراس الحمداني ، التي يقول فيها :
 تسأليني : من أنت ؟ وهى عليمة وهل بفتى مثلى على حاله نكر
 فقلت كما شئت وشاء لها الهوى قتيك ، قالت : أيهم فهم أكثر ؟
 وفي هذا تنبه النفوس الصعبة ، على حكم المحبة ، « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
 من حي عن بينة » .
 ثم قال المؤلف : « وهذه حكم تجرى مجرى الأمثال : المحبة بحر بعيد الشط ، والفناء
 منتهى الخط . المحبة مهوى من بعيد ، ومجال وعيد ووعيد .
 المحبة ظهر لا يركبه من يرى الموت فيتنكبه . كم قصت المحبة من ظهر ، وكم سير
 صوته إلى قهره .

(١) في نفع الطيب ج ٢٩ أورد المؤلف قول لسان الدين الخطيب .

حجة بالغة :

قال ابن السُّبُكِيِّ رحمه الله تعالى :

قالتُ : أَلَا لَا تَلِجَنَّ دَارَنَا	إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَايِرُ
قلتُ : فَإِنِّي حَاضِرُهُ . . زَائِرًا	وَلَا يُبْلِغُ الزَّائِرُ الْحَاضِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّيْثَ عَادَ بِنَا	قلتُ : فَسَيَفِي مَرْهَفُ بَاتِرُ
قالتُ : فَإِنَّ الْقَصْرَ مِنْ دُونِنَا	قلتُ : فَإِنِّي فَوْقَهُ طَائِرُ
قالتُ : فَإِنَّ الْبَحْرَ مِنْ بَيْنِنَا	قلتُ : فَإِنِّي سَابِحٌ مَاهِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ فَوْقِنَا	قلتُ : نَعَمْ ، وَهُوَ لَنَا غَافِرُ
قالتُ : فَحَوِّلِي إِخْوَةَ سَبْعَةٍ	قلتُ : فَإِنِّي لَهُمْ حَازِرُ
قالتُ : لَقَدْ أَعْيَيْتُنَا حُجَّةً	فَأَتِ إِذَا مَا هَجَعَ السَّامِرُ
وَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسْقُوطِ النَّدَى	لَيْلَةً لَا نَاهٍ وَلَا أَمِيرُ

حب الأُزواج

زواج النبي من خديجة^(١) :

قال صاحب كتاب « سنا المهتدى »

أهل السيرة مختلفون فيمن تولى تزويج السيدة خديجة رضى الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم مشى هو وعمه حمزة بن عبدالمطلب إلى والدها خويلد بن أسد في ذلك . وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة هو عمها عمرو بن أسد . قال المبرّد : وهو الذى خطب خطبة النكاح ، وكان ممّا قال فى تلك الخطبة : « أمّا بعد ، فإنّ محمداً بمن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، وإن كان فى المال قل ، فإنّ المال ظلّ زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » . فقال عمرو : هو الفحل لا يقرع أنفه ، فأنكحها منه . ويقال : قاله ورقة بن نوفل . والذى قاله المبرّد هو الصحيح لما رواه الطبرى عن جبير بن مطعم ، عن ابن عباس ، وعن عائشة . قال : إن عمرو بن أسد هو الذى أنكح ابنة أخيه خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن خويلداً هلك قبل ذلك .

وذكر الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذى كان يتجر معه فى مال خديجة : هلم - فلنتحدث عند خديجة ، وكانت تكرمهما ، فلما قاما من عندها ، جاءته جويرية لها وقالت له : جئت خاطباً يا محمد ؟ قال : كلاً . فقالت : ولم ؟ فوالله ما فى قريش امرأة وإن كانت خديجة - إلا تراك كهوفاً لها . فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاطباً لخديجة مستخياً منها .

حب خديجة للنبي وتقديره لها :

لقد من الله على عباده المؤمنين بقوله سبحانه : « يحبهم ويحبونه ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .
وقد شاءت إرادة الله أن ينشأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نشأة كريمة طاهرة ، حتى عرف من حداثة سنه بالصدق والأمانة ، والبعد عن صنائر الأمور ، فاشتهر بالصادق الأمين . وقد سمعت خديجة وهى سيدة من نساء العرب به ، ورغبت فى أن يتجر بها لها فكان نعم التاجر الصدوق المؤمن ، وربحت التجارة كثيرا ، لما اتصف به عليه الصلاة والسلام من خلق عظيم ، وقلب رؤوف رحيم .

وكان يصحبه خادمها « ميسرة » . . . الذى شاهد ما شاهد من طيب الخلال ، والصدق فى الأقوال ، والإخلاص فى الأعمال . وقص الخادم على سيده ذلك . ومن ثم أنست فى سيدنا محمد صفات كمال الرجال ، فعرضت عليه أن يتزوج بها ، فوافق شاكر راضياً . ولقد كان يخطبها أكبر سادة العرب وجلة ساستهم فلم ترض بواحد منهم .

وكانت على جانب عالٍ من الساحة وجمال الخلق والخلق معاً ، وكان هو صلوات الله عليه وسلامه ، يبلغ الخامسة والعشرين ، وتسكبه بخمسة عشر ربيعاً . وصادف هذا الزواج المبارك ، بل حاله التوفيق واليمن ، فكانت نعم الزوجة الحبيبة الوفية الأمينة المخلصة .

وبينا كان يتحدث فى غار ثور ، نأياً عما كان عليه شباب العرب ، حان ظهور جبريل عليه السلام لأول مرة ، وقال له : اقرأ . فأجابه النبي : ما أنا بقارئ . فضممه إليه ثم أرسله ، وأعاد عليه أخرى . وفى الثالثة : نزلت السورة :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

وما لبث أن عاد النبي إلى زوجته يقول : « زماونى » وسرد عليها روايته ، فهدأت روعه بمد أن اختبرت حالته ، إذ خشيت عليه سوءاً فقالت : والله لئن يخزيك الله أبداً .

إنَّكَ تصل الرحم ، وترحم الأرامل والأيتام ، وتؤوى الضعفاء والمساكين . ثمَّ رأت أخيراً أن تمرض أمره على ابن عمها ورقة بن نوفل ، الكاهن . . . فبشره بأن هذا هو الناموس الذي ينزل على أنبياء الله ورسله ، وسيكون له شأن عظيم !

ولقد عاشت خديجةُ رسول الله قبل الرسالة خمسة عشر عاماً ، حتَّى بلغ الأربعين ، معاشرة كلهاً الحب والوفاء . وعاش معها حياة العزة والكرامة والاطمئنان . ولم كانت ترفع من مكانته وهو الرقيق المكنانة . فتقول : « كلَّ شيء ملك محمد ، ليس لي فيه شيء ، فهو صاحب الأمر والنهي » . ولبثت معه ثمانية وعشرين عاماً ، في أتم وأكمل ما يتصوره العقل الذكي واللب الحكيم . إلى أن اختارها الله لجواره ، ولحقت بالرفيق الأعلى .

ولقد كانت أول من آمن به من النساء ، وكَم حَزَنَ عليها سيدنا محمد صلوات الله عليه حزناً شديداً ، حتَّى ذكر عام وفاتها بعام الحزن . وما زال ، عليه الصلاة والسلام ، يذكرها بالخير والثناء بعد رحيلها ، ولم يتزوج عليها قط . فما إن كان بمجلس مع عائشة الصديقة بنت الصديق وتذكر أن فلانة كانت حبيبة خديجة ، حتَّى قال : أعطوها وأكرموها . فنارت عائشة قائلة : أو لم أكن يارسول الله - أنا البكر - خيراً منها . فغضب وتغيَّر وقال والله يا عائشة ، ما عاد لها من النساء أحدٌ ، لقد أمدتني فقيراً ، وأكرمتني معافراً ، وملاَّت على أركان حياتي أنسا وسودداً . قالت عائشة : وقد أقسمت بحقه وحبه ألا تذكرها إلا بخير .

خير متاع الدنيا المرأة الصالحة :

قال صلى الله عليه وسلم : « تزوجوا الولود الودود من النساء ، فإنِّي مسكَّر بكم الأمم يوم القيامة » .

وقال أيضاً : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في مسجد البصرة فقال : أبني امرأة . فقيل له : ما صفتها ؟ قال : أريدها بكراً كئيباً ، أو ثيباً كئيباً ، حاوة من قريب ، نفعة من بعيد ، كانت في نفعة وأصابتها حاجة ، ففيها أدب النعمة وذل الحاجة ، إذا اجتمعنا كُنَّا أهل دنيا وإذا افترقنا كُنَّا أهل آخرة .

السيدة سكينة بنت الحسين :

كانت سكينة بنت الحسين^(١) سيدة نساء عصرها ، ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً . وتزوجها مصعب بن الزبير - فمات عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام ، فولدت له قريباً ، ثم تزوجها الأصبح بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول . ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها لعدم قدرته على الوفاء بما عاهدها عليه من ألا يدخل معها غيرها من النساء ، فلم يسمع إلا الإذعان لأمر سكينان . ولاعتبار ضعف إرادته باتصاله بنيرها من الجوارى صارت طالقة . فطلقها ..

وقد قيل في ترتيب أزواجها غير هذا . وقيل أيضاً إن الطرقة السكينية منسوبة إليها . ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم . من ذلك ما يروى من أنها ناظرت عروة بن أذينة - من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله أشعار رائقة ، فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي ذهبت نحو سقاء الماء أبرد
هني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لئار على الأحشاء تتقد ؟

فقال لها : نعم - فقالت : وأنت القائل :

قالت وأبثتها سرى وبخت به قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي ؟ فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصرى

والسيدة سكينة ابنة الإمام أبي عبد الله الحسين ، كانت أمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبي . وقد تزوجها عبد الله بن الحسن - وهو أبو عذرتها - فمات - ويقال قتل مع الحسين - فتزوجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنة فأرسل إليها : سميتها زبراء ، قالت : اسمتها باسم إحدى أمهاتي ، فسمتها خديجة أو فاطمة . فمات ابنها من مصعب ورحل إلى العراق فقتل عنها .

وخطب سكينه عبد الملك بن مروان . فقالت أمها : والله لا أزوجه منه أبداً وقد قتل ابن أخي - تعني مصعباً - فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام - وأم عبد الله بن عثمان رملة ابنة الزبير بن العوام - فولدت له سكينه ابناً يقال له قرين ، وحكياً ، وابنة . ويقال ابنتين . فأتى عنها ، فتزوجها الأصمعي بن عبد العزيز بن مروان فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال عبد الملك : إنا تزوجنا أحسابنا فلم نغرق في الصداق ، طلقها . فطلقها ، فقال أيمن بن خريم :

نسكت سكينه في الحساب ثلاثة فإذا دخلت بها فأت الرابع

إن البقيع إذا تتابع زرعُه خاب البقيع وخاب فيه الزارع

فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان - فأصدقها صداقاً كثيراً واشترطت عليه ألا يعصى لها أمراً ولا يغيرها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، ولا يمنع أحداً يدخل إليها ، وأن يقيمها حيث رغبت ، فتزوجها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيد بن عمرو ، إنك شرطت لسكينه ألا تطأ جارية ، وعندك أمثال المها . وأنا أعلم أنك لا تصبر ، وأنت قد وطئت بعضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع الوفاء بها ، وقد حرمت عليك سكينه . فطلقها زيد ، فتزوجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضوا ، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم ابن هشام ، فقال له : انطلق فادخل على أهلك ، فإن حال بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف شرساً كثير الشر - لما أراد أن يتزوجها بعد أن مكثت حيناً بعد زيد لا تخطب - فقالت لها مولاتها : جعلت فداك ، لا أرى أهل المدينة يذكروننا . فأجابها : أما والله لأجعلن لهم حديثاً . وأرسلت إلى إبراهيم فقالت له : كيف أنت إن تزوجتك ؟ قال تجدينني خير الناس .

وكانت ظريفة عفيفة ، وأدبية فصيحة ، فوق ما امتازت به من إشراق الحياء ، وسماحة الخلق ، وملاحة الخلق . فقيل لها : يا سكينه ، أختك ناسكة وأنت مزاحاة قالت : إنكم سميتوها باسم جدتها المؤمنة ، وسميتوني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام^(١) .

(١) أختها فاطمة بنت الحسين ، سميت باسم جدتها فاطمة الزهراء ، وسميت سكينه بنت الحسين باسم آمنة جدتها أم الرسول صلوات الله وأزكى سلامه عليه .

ولقد شبّب الفرزدق بها ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه والياً على المدينة فأخرجه منها ونفاه . فقال جرير في ذلك :

نَفَاكَ الْأَغْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِحَقِّكَ تُنْفَى مِنَ الْمَسْجِدِ

وطافت سكيئة بنت الحسين - رضى الله عنهما - فلما انتهت إلى الركن اليماني أعييت في أول طواف ، ونظر إليها العرجي ، فقال :

يَقْعُدْنَ فِي التَّطَوَّافِ آوَنَ وَيَطْفَنَ أَحْيَانًا عَلَى فَرْ

حَتَّى اسْتَلَمْنَ الرُّكْنَ فِي أَنْفٍ مِنْ لَيْلِهِنَّ يَطَّانَ فِي الْأَزْرِ

فَقَرَعْنَ فِي سَبْعٍ وَقَدْ جَهِدَتْ أَحْشَاؤُهُنَّ مَوَائِلَ الْخُمْرِ

فسمعت شعره امرأة ووصفته لها ، فحفظت الشعر ، وقالت : « لو أن الرجال طُفِنَ سَبْعًا لجهدت أحشأؤهن » .

وكانت سكيئة - رضى الله عنها - على جانب وافر من الللال الطيبة فوق ما امتازت به من كريم المحتد ، ودماثة الطبع والجمال .

عاتكة بنت زيد :

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، عند عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة . فأحبها ، فكان ربما ترك الصلاة جماعة بسبب مكثه معها ، لما اتصفت به من حسن الصورة وسماحة الخلق . وكانت عبلة الجسم ، مكثزة اللحم ، على قسط وافر من العلم والأدب ، والمعرفة بالشعر ، مما دعا عبد الله إلى الانشغال بها . فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها قائلاً له : قد فتنتك عن دينك ، وشغلتك عن معشيتك ، فطلقها وقال :

وَلَمْ أَرِ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جَرَمٍ تَطَلَّقُ

لَهَا خُلُقٌ سَمِيحٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصِبٌ وَخَلَقٌ سَوِيٌّ فِي الْحَيَاءِ وَمَصْدُقٌ

أَعَاتِكَ ، لَا أُنَاسِكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا نَحَّ قَرِيئُ الْحَمَامِ الْمَطْوِقُ

أَعَانِكَ لَا أَنْسَاكَ مَا حَجَّ رَاكِبٌ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُخَلِّقٌ
أَعَانِكَ ، قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْكَ بِمَا تَخْفَى النُّفُوسُ مَعْلُوقٌ
وَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ فِي حَقِّ وَالِدٍ وَطَاعَتُهُ مَا كَانَ مِنَّا التَّفَرُّقُ
فَبَلَغَ أَبَا بَكْرٍ شَعْرَهُ فَأَمَرَهُ فَرَاغَهَا ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَ شَهِيداً ، أَصَابَهُ سَهْمٌ
فِي حِصَارِ الطَّائِفِ فَانْتَقَضَ بِهِ جِرْحُهُ فَمَاتَ ، فَقَالَ لِعَاتِكَةَ حِينَ احْتَضَرَتْ : لَكَ حَدِيقَةٌ مِنْ مَالِي
وَلَا تَتَزَوَّجِي . قَبِلْتُ ذَلِكَ . وَقَالَ حِينَ رَاجَعَهَا :

أَعَانِكَ ، قَدْ طَلَّقْتُ عَنِّي بُعْصَةً وَرَاجَعْتُ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَأْنُ
كَذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ غَادٍ وَرَاضٍ عَلَى النَّاسِ فِيهِ أَلْفَةٌ وَتَبَايُنُ
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي لِلتَّفَرُّقِ طَائِراً وَقَلْبِي لِمَا قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سَاكِنُ
أَعَانِكَ إِنِّي لَا أَرَى فِيكَ سَقَطَةً وَإِنَّكَ قَدْ حَلَّتْ عَلَيْكَ الْمَحَاسِنُ
وَإِنَّكَ مِمَّا زَيَّنَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَلَيْسَ لِمَا قَدْ زَيَّنَ اللَّهُ شَائِنُ
فَمَاتَ عَبْدُ اللَّهِ وَتَرَكَ سَبْعَةَ دَنَانِيرَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ أَلَّاهُ ، كَيْفَ يَصْبِرُ ابْنِي عَلَى سَبْعِ
كَيْيَاتٍ^(١) فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَتْ عَاتِكَةُ تَرْثِيهِ :

فَجِئْتُُ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ ، وَمَا كَانَ قَصِيراً
فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكَّ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُّ جِلْدِي أَعْبِيراً
مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَامَةُ أَيْكَةٍ وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ الْمُنَوَّراً
فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى أَكْرَمَ وَأَحْمَى فِي الْجِهَادِ وَأَصْبِيراً
إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتَرَكَ الرُّمَحَ أَحْمَراً
ثُمَّ مَا لَبِثْتُ أَنْ خُطِبَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي
مَا لَا أَقْدِرُ مَعَهُ عَلَى التَّزْوِيجِ . فَقَالَ : اسْتَغْفِرِي ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَاسْتَفْتَتْهُ فَقَالَ
رُدِّيْ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذْتَهُ مِنْهُمْ وَتَزَوَّجِي . فَزَوَّجَهَا عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

(١) یعنی بذلك جزاءه على ما لاكثر من الدنانير « يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم . . . »

فلما دخل بها أولم ، فدنا على رضى الله عنه من خدرها وقال :
فأليت لا تنفك عيني سخيئة عليك ولا ينفك جلدى أغبراً
فبككت ، فقال عمر : ما أردت إلا أن تُفسد علينا أهلنا .

ويقال : قال هذه المقالة عبد الرحمن بن أبي بكر . فلما قُتل عمر قالت :
وفجعتني فيروز لادر دره بأبيض تال للقران منيب
روؤف على الأذن غليظ على العدا أخى ثقة في النائبات نجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب
وقالت :

عين جودي بمبرة ونحيب لا تملى على الإمام النجيب
فجعتني النسوان بالفارس المة دم يوم الهياج والتذيب^(١)
عصمة الناس والمعين على الدهر ر وغيث المُنْتَاب والمحروب
قل لأهل الضراء والبأس : موتوا قد سقته النون كأس شعوب

نخطبها طلحة بن عبيد الله ، فشئى في أمرها هبار بن الأسود ، فأفسد عليه ، فتزوجها
الزبير بن العوام ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد ، فقالت : أتهنأني عن الخروج إلى
الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله » فأعرض عن
ذلك أياماً ، ثم قعد لها في طريقها ليلاً ، فلما مرت به ضرب عجزها بيده . وكانت عزيمة
المعجزة جميلة - فرجعت إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوءة إن الله . وتركت الخروج ،
فقال لها الزبير : مالك تركت الصلاة في المسجد ؟ فقالت : قد فسد الناس أبا عبد الله .
فقتل عنها ، فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير مُعَرِّد
يا عمرؤ لو نبهته لوجدته لاطأشاً رعيش الجنان ولا اليد
سلت يمينك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد

(١) لكثارت الذب والدفع . وفي الأغاني التلييب .

ثم خطبها على بن أبي طالب رضى الله عنه فقالت : إني أشفقُ عليك من القتل ،
لم أتزوج رجلاً إلا قُتِلَ ، فتزوجها محمد بن أبي بكر فخرجت معه إلى مصر ، فقتل ومثّل به ،
فقالت :

لَيْنٌ تَقْتُلُوا أَوْ تَمَثَّلُوا بِمَحْمَدٍ فَا كَانَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ وَلَا الْحَمْرِ^(١)
فتزوجها عمرو بن العاص .

وروى أن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - حدث مرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تمنعوا النساء من الخروج بالليل إلى المساجد » فقال ابن له :
لَا تَدَعُهُنَّ يَخْرُجْنَ فَيَتَّخِذَنَّهُ دَغَلًا . فزجره وقال له : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
وَسَلَّمَ ثُمَّ يَقُولُ : لَا تَدَعُهُنَّ ؟ !

وذكر أبو بكر الخرائطي رحمه الله في كتاب « اعتلال القلوب » قال : كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند الزبير بن العوام رضى الله عنهما - فاستأذنته في الخروج إلى المسجد ، فشقّ عليه ذلك وكره أن يمنحها . فأذن لها ، ثم انكمن لها في موضع مظلم من الطريق ، فلما مرّت عليه وضع يده على بعض جسدها ، فكرّرت راجعة وسبقها الزبير إلى الدار ، فلما دخلت عليه تسبّحُ ، قال لها : ماردك عن وجهك ؟ قالت : كنا نخرج والناس ناسٌ ، وأما اليوم فلا ، وتركت طلب المسجد .

زواج امرئ القيس :

نقل الجرجاني في كتاب « الكنايات » عن كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني ، أن عبد الملك بن عمير قال : آلى امرؤ القيس بن حجر ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن « ثمانية وأربعين » فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر . . . فبينما هو في جوف الليل إذا هو برجل - معه ابنةٌ صغيرة له كأنها البدر لته ، فأعجبته فقال لها :

(١) يقال : مثل به يمثّل مثلاً ، مثل : قتل يقتل قتلاً ، ومثّل به تمثيلاً : إذا نكّل به .

يا جارية ، ما ثمانية وأربعة واثنان ؟ قالت : أمّا ثمانية فأطباء الكلبة ، وأمّا أربعة فأخلاف الناقة ، وأمّا اثنان فشديا المرأة . فخطبها من أبيها ، فزوجها إياها وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فأجابها موافقاً ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس . ثمّ إنه أرسل عبده إلى المرأة فأهدى إليها نَحِيّاً من سمن ، ونَحِيّاً من غسل ، وحلة من قصب ، فنزل العبد في بعض المياه فنشر الحلة فلبسها ، ثمّ أتاها - وهي خلوف - فسألها عن أبيها وأُمّها وأخيها ، ودفع إليها هديتها . فقالت له : أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً ، وأن أُمّي ذهبت تشقّ النفس نفسين ، وأن أخي يراعى الشمس ، وأن سماء كم انشقت ، وأن وعاء كم نضب . فقَدِمَ الغلام على مولاها فأخبره ، فقال : أمّا قولها ذهب يبعد قريباً ويقرب بعيداً فإن أباهما ذهب يخالف على قومه ، وأمّا قولها ذهبت تشقّ النفس نفسين فإنّ أمّها ذهبت تقابل نقساء ، وأمّا قولها أخي يراعى الشمس فإنّ أخاها في سرح له يرعاه ، وأمّا قولها : إن سماء كم انشقت فإنّ البرد الذي بعثت به انشق ، وقولها : إنّ وعاء كم نضب فإنّ النحيين اللذين بعثت بهما نقصا . فاصدقني ، فقصّ عليه الغلام القصة .

ثمّ إن امرأة القيس ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ومعه الغلام ، فقام الغلام يسقي الإبل ، فعجز عنها ، فأعانه امرؤ القيس . فرمى به الغلام في البئر ، وخرج حتّى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها . فقيل لها : قد جاءك زوجك . فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ . ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها . ففعلوا وأكل ، ثمّ قالت : اسقوه لبناً خائراً أى حامضاً - فشرب فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : إني أريد أن أسألك فقال : سليني عما شئت . فقالت : ممّ تحتلج شفتاك ؟ فقال : لتقبلي إياك . قالت : فممّ يختلج فخذاك ؟ فقال : لتورّكي إياك . قالت : عليكم فشدّوه وثاقاً ، ففعلوا .

واجتاز قوم بامرئ القيس فأخرجوه من البئر ، فرجع إلى حيّهِ وساق مائة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته فقيل لها : قد جاء زوجك فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ ولكن

انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا . فلما أتوه بذلك - قال : فأين الكبدة والسنام واللحى ؟ ! وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً خائراً . فأتى به ، فأبى أن يشربه وقال : أين الضريب والريية ؟ ! فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام . وقال : افرشوا لى على القلعة الحمراء ، واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلمَّ شَرَطَتِ عليك فى المسائل الثلاث ، فأرسل إليها : أن سَلَى عَمَّا شِئْتُ . فأرسلت إليه : ممَّ يَخْتَلِجُ شَفَتَاكَ ؟ قال : لشرب الشَّعْشَعَاتِ . قالت : فَمِمَّ يَخْتَلِجُ كَشْحَاكَ ؟ قال : للبسى المحبَّرات . قالت : فممَّ يَخْتَلِجُ نَفْثَاكَ ؟ قال : لركوبى المَطَهَّمَاتِ . قالت : هذا زوجى لعمرى فعليكم به ، واقتلوا العبد ، فقتلوه .

ودخل امرؤ القيس بالجارية التى أحبها حين رآها ، فأنجب بجمالها ، وسألها ، فكان جوابها شافياً .

وكانت بذكائها جديرة بأن تكون قرينة محبوبة له .

ولاء أم عقبة لابن عمها غسان :

كانت أم عقبة ، وهى امرأة من بنى يَشْكُرَ - عند ابن عمِّ لها يقال له : غسان ، ولما شعر بدنو أجله أو قرب موته سألها عما تصنع بعده قائلاً :

أخبرى بالذى تريدن بعدى والذى تضعرين يا أمَّ عقبة
تحفظين من بعد موتى لما قد كان منى من حسن خلق وصحبه
أم تريدن ذا جمال ومال ؟ وأنا فى التراب فى سجن غربة
فقالت : والله لا أجيئك بكذب ، ولأجعلنه آخر حظى منك ، وأنشدته :

قد سمعت الذى تقول وما قد يا ابن عمى تخاف من أمَّ عقبة
أنا من أحفظ الوداد وأرعا هُ لما قد أوليت من حُسن صحبه
سوف أبكيك ما حيت بنوح ومراث أقولها أو بندبة

فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بعد موت الأزواج ياخير من عو شر ، فارعى لي حقَّ حُسن الوفاء
إننى قد رجوت أن تحفظى العهد د ، فكونى إذا متُّ عند الرجاء

زواج حاتم الطائي^(١) :

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال : أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه ،
وأبو حاتم عن أبي عُبَيْدَةَ . قال :

كانت امرأة من العرب ، ذات جمال وكمال وحسب مال ، قد آلت أن لا تزوج نفسها
إلا كريماً ، ولئن خطبها لثيم لتجدعنَّ الله ، فتحامها الرجال ، حتى انتدب لها زيد
الخليل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس بن حارثة بن لام الطائيون ، فارتحلوا إليها ، فلما دخلوا
عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زواراً ، فما الذى جاء بكم ؟ فقالوا : جئنا زواراً وخطاباً .
قالت : أ كفاء كرام . فأزلتهم ، وفرقت بينهم ، وأسبغت لهم القريى وزادت فيه .
فلما كان اليوم الثانى بعثت بعض جواريتها متنكرة فى زى سائلة ، تتعرض لهم ،
فدفع لها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كل واحدٍ منهما ، فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها
جميع ما حمل إليه .

فلما كان اليوم الثالث ، دخلوا عليها فقالت : ليصف كل واحدٍ منكم نفسه فى شعره
فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هلا سألتِ بِنَى نَهَانَ ما حَسَبِي عند الطعانِ إذا ما احمرَّتِ الحدقُ
وجاءت الخليل مُحَمَّرًا بَوَادِرُهَا بالماء يسفح عن لَبَّائِهَا العَلَقُ

(١) فى أمالى الزجاجي .

والخيلُ تعلمُ أنى كنتُ فارسها والجارُ يعلمُ أنى الوابلُ الغدقُ
هذا الثناء ، فإن ترَضَى فراضيةٌ أو تسخطى فإلى من تمطفُ العُنقُ
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أنا أكرمُ أحساباً وأشهرُ أفعالاً من أن نصف
أنفسنا لك ، أما الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لامٍ ليَقْضَى حاجَتى فيمن قضاها
فما وطئُ الحصا مثل ابن سَعْدَى ولا لبسُ النعال ولا احتذاها
وأنا الذى عُنْتُ عقيقته فأعتقت عن كل شعرة منها نسمة ، وأنشأ يقول :

فإن تنكحى ماوية الخير حاتماً فتى لا يزال الدهر أكبر همّه
فكأكَ أسير أو معونة غارم إذا الحربُ يوماً أقعدت كل قائم
وإن تنكحى زيدا ففارس قومه وإن تنكحينى تنكحى غير فاجرٍ
ولا مُتَّقٍ يوماً إذا الحربُ سمرتُ ولا طارقُ الأضيافِ لآذٍ برجله
فأى هُدًى أهدى لك الله فأقبلِ فأنا كرام من رؤوس الأكابر
وأنشأ حاتم يقول :

أماوى قد طال التجنب والهجرُ وقد عذرتنى فى طلابكم العذرُ
أماوى إما مانعٌ فمبينٌ وإما عطاءٌ لا يُنْهِنُهُ الزجرُ
أماوى ما يننى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ
وقد علم الأقبام لو أن حاتمًا أراد ثراء المال كان له وفرُّ

إلى أن أتى على القصيدة ، وهى مشهورة . فقالت : أما أنت يا زيد ، فقد وترت العرب ،
وبقاؤك مع الحرّة قليل . وأما أنت يا أوس ، فرجل ذو ضرائر ، والصبر عليهن شديد .
وأما أنت يا حاتم ، فمرضى الخلائق ، محمود الشيم . كريم النفس ، قد زوَّجتك نفسى !

حبّ سحيم لعائشة بنت طلحة :

قال أبو الحسن على المدائني :

تزوج سحيم بن حفص - بعائشة ابنة طلحة عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو أبو عذرتها فولدت له أولاداً ، منهم طلحة الذي يقول له الشاعر :

أيا طَلَحَ إن كنتَ أعطيتني جَمَالِيَّةَ تستخِفُّ الضَّفَّارَا
فما كان تقمك لي مَرَّةً ولا مَرَّتَيْنِ ولكنَّ مَرارَا
أبوكَ الذي بايع المُصْطَفَى وسار مع المهتدي حيث سارا

وقال أيضاً عن سحيم : صارت عائشة زوجها ، وكان في خُلُقها زعارة ، وكان يلقى منها البلاء ، فقليل له : طَلَّحُها ، فقال :

وإنَّ فراقِي أهل بيت أودَّهم لهُم زُلْفَةٌ عندِي لإحدى العِظَامِ
فكيف بصفو العيتس من بعد بَيْنِهِم وسُخْطُهُم يوماً . . عن الأنفِ خاطِي
وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إن تزوجته فهو عليّ كظهر أُمِّي . ثم سألت أهل
المدينة فقالوا : اعتق رقبةً وتزوجيه . فتزوجها فأصدقها خمسمائة ألف ، وأهدى لها خمسمائة
ألف . فقال أنسُ بن أبي أنس بن زنيم :

تعطى الفتاة بألف ألف كاملٍ وتبيت سادات الجنود جِيعاً
لو في أبي حفص أقولُ مقاتلي وأبشُّ ما قد أرى لارتعاً

فبلغ الشعرُ عبد الله بن الزبير فقال : إن مصعباً قدم خيرَه .

وقال أبو الحسن عن الشعبي : كان يجالسنا أيام الفتنة رجل فقلت : من أنت ؟
قال : مولى عائشة بنت طلحة ، خطبها مصعبُ بن الزبير وتزوجها فأحبها ، وكانت
امراًة جميلة في أذنِها عِظَمٌ ، وفي ساقها حموشة^(١) . وقال قوم : في قدمها عِظَمٌ .

(١) الحموشة : الدقة .

وروى عن الشعبي أنه قال : أخذ بيدي معصب ، ففضى وأنا معه حتى دخل منزله ويده في يدي ، فرفع سترأ فإذا عائشة ، وإذا هي أحسن الناس وجهاً ، فأعرضت وخلاني ودخل ، فرجعت . ثم رحتُ إليه بالعشي وهو جالس ، فأشار إلي بيده وقال : أرايت ذاك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أفرأيت مثله ؟ فقلت : لا . قال : تلك ليلى التي يقول فيها الشاعر :

ومازلتُ من ليلى لذن طرشاربي إلى اليوم أخفى حبّها فأباين^(١)
وأحملُ في ليلى لقلبي ضَبِينَةً وتُحملُ في ليلى على الضنائنُ

ياشعبي : رأيت عائشة وما يدُلكُ إذ رأيتها من صلة ، ثم قال لا بن أبي فروة : أعط الشعبي عشرة آلاف درهم وعشرين ثوباً . فقتل عنها مصعب . وأنبأ الحسن قال : قال سلم بن قتيبة : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد ، فسلمت عليها وانتسبت لها ، فبكت وقالت : يرحم الله مصعب ، ثم أرادت النهوض ، فأخذت امرأتان يديها - وعندها نسوة . فاعتمدت على المرأتين ، فما كادت أن تستقل حتى خذلها وركاها ، فقالت إحدى المرأتين : إنّا بك لمتعبات ، وكانت مديدة الجسم ، مكتنزة اللحم ، على نصيب وافر من حسن الصورة وإشراقها .

الثريا وعمر بن أبي ربيعة^(٢) :

حدثنا الزبير بن بكار ، عن بسلمة المخزومي عن أيوب : أن عمر بن أبي ربيعة كان متعلقاً بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وكانت أهل ذلك جمالاً وتماًماً ، وكانت تصيف بالطائف . وكان عمر يندو عليها على فرسه ، فيسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار ، فلقي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال : ما استطرفنا خبراً ، إلا أننى سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قرين نسيت اسمها ، ولملّه نجم في السماء . فقال عمر : الثريا ؟ قال : نعم .

(١) البيتان لكثير عزة كما في الأغاني (٢ : ١٣٢) وروايته : « وأداجن » .

(٢) في الأغاني ج ١ .

وكان عمر قبل ذلك قد بلنه أنها عليلة ، فَوَجَّهَ فرسه إلى الطائف يركضه ، وسلك أخشن الطرق وأقربها ، حتَّى انتهى إلى الثريا ، وقد توقمته وهي تشوف له فوجدها سليمة ومعها أختها : رضا وأم عثمان ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : أنا أمرتهم لأختبر مالى عندك فقال عمر في ذلك هذا الشعر :

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجُرَى لما جهدته ويَبِينُ لو يَسْطِيعُ أن يَتَكَلَّمَ
فقلت له : إن ألقَ للعَيْنِ قَرَّةً فهان علىَّ أن تَكُلَّ وتَسَامَا
لذلك أدنى دون خيلي رباطه وأوصى به ألا يهان ويكرما
عدمت إذن وفرى وفارقت مهجتي لأن لم أقل قِرْنًا إن الله سَلَمًا

فقال مَسْلَمَةُ بن إبراهيم : قلت لأيوب بن مَسْلَمَةَ : أكانت الثريا كما يصف عمر ابن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصفة ، كانت والله كما قال عبدُ الله بن قيس :

حبذا الحُجَّ والثريا ومن بال خيف من أهلها ومات الرِّحَالُ
ياسليمان إن تلاق الثريا تلقَ عَيْشَ الخلود قبل الهلال
دُرَّةً من عقائل البحر بكر لم يشنها مُثاقِبُ اللَّيْلِ
تعمد المُنْزَر السَّخَام من الحرِّ على حِقْوِ بادنٍ مكسالٍ

وحدثنا عمر بن سَبَّة قال : أخبرنا محمد بن يحيى قال : زعم عبيد بن يعلى - قال حدثني كثير بن كثير السهمي قال : لما ماتت الثريا ، أتاني النريض فقال لي : قل أبيات شعر أنح فيها على الثريا ؛ فقلت :

ألا ياعين مالكِ تدمعينا أمن رمدٍ بكيت فتكحلينا ؟
أم أنت حزيمة تبكين شجواً فشجوك مثله أبكي العيونا !

أبو الأسود الدؤلى وامراته وابنها :

قال صاحب « سناء المهتدى » .

تنازع أبو الأسود الدؤلى وامراته فى ابن لهما ، وترافعا إلى زياد — وأراد كل أخذهُ ،
فقالَت المرأة : أوصَلح اللهُ الأمير ، هذا ابني ، كان بطنى وعاءه ، وحجى فناءه ، وثديي
سقاءه ، أكلُوهُ إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى استوفى
فصاله ، وكملتُ خصاله ، واستوكت أوصاله ، وأملتُ نَفْعَهُ ، ورجوتُ دَفْعَهُ ، أراد أن
يأخذهُ مني كَرَّها ، فأَنصِفني فقد أراد قَهْرى ، وحاول قَسْرى .

فقال أبو الأسود : حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه
فى أدبه ، وأنظر فى تقويم أوده ، وأمنحه علمي ، وألهمه حلمي ، حتى يَكْمُلَ عقله ، وَيَسْتَكْمِل
نُبْلَهُ .

فقالَت المرأة : صدق أوصحك اللهُ . حملهُ خِفًّا ، وحملته ثَقَلًا ، ووضعهُ شَهْوَةً ، ووضعته
كَرْهاً .

فقال زياد : ارددْ على المرأة ولدَها فهى أحقُّ به منك ، ودعنا من سَجِيعِكَ .

* * *

المجرّد والمرأة التى تبعها :

قال ابن وهب : تبعْتُ جارية إلى منزلها ، طامعاً فيها . فسقتنى نبِيذاً وغَنَّتْ على عُودها
بصوتٍ ما سمعتُ أعذبَ منه ، ولا أَنفَذَ إلى القلب :

كَأَنِّي بِالْمَجْرَدِ قَدْ عَلَنَتْهُ . . . نِعالُ القَوْمِ أَوْ خُضْبُ السَّوَارِي

فقلت لها : جُمِلْتُ فدائكِ ، لم أفهم هذا الشعر ولا أحسبه ممّا يُفَعِّنى به . قالت : أنا أولُ
من تنسّى به ، وإنما هو بيتٌ لا يدرى قائله ومعه بيتٌ آخر .

(٤ — الحب والجمال)

قالت : سُرِّيتُ بِأَنْ تُغَنِّيَهُ لَعَلِّي أَفْهَمُ . قالت : ليس هذا وقته ، هو آخر ما أتغنى به .
قال : وجعلتُ لأنازعها شيئاً إجلالاً لها وإعظاماً ، فلما أمسيتُ وجاءت المشاء الأخيرة ،
وضعتُ عودها ، فقامتُ فصلَّيتُ وما أدرى كم صلَّيتُ بحجَلَةٍ وتشوُّقاً . فلما سلمتُ ، قلتُ :
تأذنين لي جُعلتُ فداءك في الدنوّ منك ؟

قالت : هذا لك ، ولكن بعد أن يتجرّد كلٌّ مِنَّا . ثمّ ذهبتُ كأنها تريد أن تخلع ثيابها ،
فكدتُ أن أشقّ ثيابي من الحجَلَة للخروج منها ، ولما قت بين يديها متجرّداً . قالت :
انتبه إلى زاوية البيت ، وأقبل إلى مقبلاً ومدبراً . قال : وبينما أنا في طريق إلى الزاوية ، أردتُ
اجتياز حصير في النرفة ، فما كدتُ أن أستقرّ فوقه حتّى هبط بي في خرّق تحتته ، وإذا أنا
في السوق مجرّداً ، وإذا شيخان هناك قد كُنا في ناحية ، وأعدّا نالهما . فلما هبطت عليهما
بأدراى فقطعاً نالهما على قفّاي ، وجاء أهل السوق ، فشاركوهم في ضربى حتّى أنسيتُ اسمي
وبينما أنا أخبطُ بنعالٍ مخصّوفةٍ ، وأيدٍ يقال ، وخُشبٍ دِقَاقٍ ، إذا صوتٌ من فوق البيت
يفتنى :

كأنى بالمجرّد قد علته نعالُ القوم أو خُشبُ السّوارى
ولو علّم المجرّد ما أردنا لبأدرنا المجرّد في الصّحارى

الشعراء العشاق

جميل بثينة^(١) :

إنَّه لَمَعُومٌ أَن بُثَيْنَةَ مَحْبُوبَةٌ جَمِيلٌ قَائِدُ الشَّعْرِ ، وَقَدْ نَسَبَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ بِنِسَاءِ مَخْصُوصَةٍ ،
وَاشْتَهَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِعَنِ تَنْزُلِ بِهَا ، فَاشْتَهَرَ جَمِيلٌ بِبُثَيْنَةَ ، وَاشْتَهَرَ كَثِيرٌ بِعَزَّةَ ، وَعُرُوَّةُ
ابْنِ حِزَامٍ بِعَفْرَاءَ ، وَقَيْسُ بْنُ مَجْنُونٍ بِبَنِي عَامِرٍ بَلْبَلِي ، وَقَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ بِبَنِي ، وَالْمُرْقَشُ بِفَاطِمَةَ ،
وَذُو الرِّمَّةُ بِبَيْتَةٍ وَهِيَ الْخُرْقَاءُ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ بِفُوزٍ .

وَبَعْضُ الشُّعْرَاءِ لَا يَلْتَزِمُ التَّنَزُّلَ بِامْرَأَةٍ مَخْصُوصَةٍ كَامِرَى الْقَيْسِ .
وَبُثَيْنَةُ مُصَغَّرٌ . بُثْنَةٌ - قَالَ صَاحِبُ الصَّحَاحِ : الْبُثْنَةُ - بِالنَّسْكِينَ : الْأَرْضُ اللَّيْنَةُ ،
وَبِتَصْغِيرِهَا سَمِيَتْ : بُثَيْنَةُ .

أَمَّا قِصَّةُ جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرِ الْعَذْرَى ، فَقَدْ رَوَى صَاحِبُ « الْأَغَانِي » بِسَنَدِهِ ، قَالَ :
اجْتَمَعَ جَمِيلٌ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ رَهْطِهِ يَتَحَدَّثُونَ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَا اللَّهُ حَدَّثْنَا بِأَعْجَبِ يَوْمٍ لَكَ مَعَ
بُثَيْنَةَ . قَالَ : نَعَمْ . مُنَعْتُ مِنْ لِقَائِي مَدَّةً ، وَتَمَرَّضْتُ لَهَا جَهْدِي فَلَمْ أَصِلْ إِلَيْهَا ، فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ
لَيْلَةٍ جَالِسٌ بَيْنَ شَجَرَاتٍ بِالْقَرْبِ مِنْ حَيْهَا ، وَقَدْ أَقْبْتُ ثَلَاثًا أَنْتَظَرُهَا ، إِذَا شَخْصٌ قَدْ أَقْبَلَ
إِلَيَّ ، فَجَلَسْتُ وَانْتَضَيْتُ سَيْفِي ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ غَشِيَنِي الشَّخْصُ ، فَإِذَا هِيَ بُثَيْنَةُ قَدْ أَكْبَتَتْ
عَلَيَّ . فَأُدْهَشَنِي ذَلِكَ ، وَبَقِيتُ مَتَحِيرًا لَا أَحِيرُ جَوَابًا إِلَيْهَا ، وَلَا أَرَا جَمْعَهَا كَلِمَةً حَتَّى بَرَقَ الصَّبْحُ ،
وَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَكَلِّمَهَا .

قَالُوا : فَهَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ؟ فَأَنْشَدَهُمْ قَصِيدَةً طَوِيلَةً . .

وهذه أبيات من أولها :

أَهَاجَكَ أَمْ لَا بِالتَّنَاضُبِ مَرَبِّحُ وَرَسْمٌ بِأَحْرَاجِ الْغَدِيرَيْنِ ، يَلْقَعُ

ديارُ الليل^(١) .. إذ نُحِلُّ بها ممّا وإذ نحن منها فى المودة نَطْمَعُ
 فياربِّ حَبِيبِي إليها ، وأعْطِنِي الـ مودةً منها ، أنت تعطى وتمنّعُ
 وإلا .. فصَبْرُنِي وإن كنت كارهاً فأَيُّ بها إذا المارج مُوَلِّعُ
 فإن يَكْ قد شطتْ نواها وقد نأت فإنَّ القُوَى ممّا تُشِثُّ وتجمَعُ
 جزعتُ غداةَ البين لما تَحَمَّلُوا وما كان مثلى يا بَشِيئَةً يُجْزَعُ
 تَمَتَّعْتُ منها يومَ بأنوا بنظرةٍ وهل عاشقٌ من نظرةٍ يَتَمَتَّعُ؟

وروى صاحب الأغاني عن الهيثم أن جيلاً طال مقامه بالشام ، ثم قدم وبلغ بَشِيئَةً خبره . فراسلته مع بعض نساء الحى ، تذكر شوقها إليه ، ووجدتها به ، وواعدته لموضع يلتقيان فيه ، فصار إليها ، وحادثها طويلاً ، وأخبرها بحاله بعدها .

قال : وقد كان أهلها رصدوها ، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هما عليها ، فوثب جميل فسل سيفه وشدّ عليهما ، فاتقيا بالهرب . وناشدته بشينة بالانصراف وقالت : إن أقت فضحتنى ، ولعل الحى أن يلحقوك ، فأبى وقال : أنا مقيم ، وامضى أنت وليصنعوا ما أحبوا . فلم تزل تناشده حتى انصرف . وقد هجرته مدةً طويلةً ولم تلقه ، فقال هذه الأبيات الستة :

بمختلف الأرواح بينَ سُوَيْقَةٍ وأَحْدَبِ^(٢) كادت بعد عهدك تَخْلُقُ^(٣)
 أضرت بها النكباء^(٤) كل عَشِيَّةٍ وتَفْحُ الصَّبَا^(٥) والوايل^(٦) المتبعق^(٧)
 وقفت بها حتى تَحَلَّتْ عَمَائِي^(٨) وملّ الوقوف الأَرْحَى^(٩) المنوق^(١٠)

(١) لا يخفى أن جيلاً ينسب ببشينة . ولأنما ذكرها باسم ليلي جرياً على عادة الشعراء فى إخفاء أسماء معشوقاتهم أحياناً .

(٢) سويقة وأحدب : موضعان . (٣) تخلق : تبلى ، يقال خلق الثوب وتوب وأخلق .

(٤) النكباء : كل ريح تهب بين مهب ريحين لأنها نكبت عن مهبها أى : عدلت .

(٥) تفح الصبا : النسيم العليل . (٦) الوايل : المطر العظيم . (٧) المتبعق : المطر العظيم .

(٨) عمائى : بفتح العين من العماية ، هى من عمى القلب . (٩) الأرحى : الجبل النجيب منسوب

إلى أرحب وهى قبيلة ، وقيل خل ، وقيل موضع . (١٠) المنوق : المذلل كالناقة .

وقال خليل : إِنَّ ذَا لَصَبَابَةٍ أَلَا تَزَجِرُ الْقَلْبَ اللَّجُوجَ فَيَلْحَقُ
تَعَزَّزْ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ كَرِيمَةٌ لَمَلَّكَ مِنْ أَسْبَابِ (١) بَثْنَةٍ تُعْتَقُ
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الْبُعَادَ يَشُوقُنِي وَبَعْضُ بَعَادِ الْبَيْنِ وَالنَّأْيِ أَشْوَقُ

كثيّر عزة :

من « بلاغات النساء » (٢) ما حدثني الزبير بن بكار ، قال : حدثني سليمان بن عباس السَّعْدِيُّ قال : كان كثير بن عبد الرحمن يلقى من يحج من قريش في كل سنة بهديّة ، فنفل سنة عنهم ، حتى أصبح يوماً فركب من منزله بكلّبة جهلاً ، واستقبل الشمس في يوم صائف ، فلم يأت قديداً حتّى احترق وضجر وجاء وقد راح النَّاسُ ، إلّا فتى من قريش تخلف ومعه راحلة له ، على أن يلحق بهم .

قال الفتى القرشي : فإني لجالس إذ أقبل كثير فجلس إلى جنبي ولم يُسلم . ثم جاءت امرأة جميلة وسيمة ، فاستندت إلى خيمة من خيام قديد ؛ ثم قالت له : أنت كثير بن أبي جمعة ؟ قال : نعم . قالت أنت الذي تقول :

وكنّت إذا ماجئت أجللن مجلسي وأعرضن عني هيبةً لا تجهما

قال : نعم . فتأمّلت وجهه مبتسمة وقالت : أعلى مثل هذا الوجه هيبة ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقال لها : كثير : من أنت ؟ واحتدّ عليها وهي ساكتة . ثم قال لها : لو أعلم من أنت لقطعتك وقطعت قومك هجاء . فلما سكن ، قالت له : أأنت الذي تقول :

متى تنشروا عني العامة تبصروا جميل الحيا أغفائه الدّواهن ؟

أنت جميل الحيا ؟ ! إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

(١) وقوله : لملك من أسباب بئنة . روى بدله : لملك من رق لبئنة . . .

(٢) في إرشاد الأديب ص ١٣٧ .

فضجّر كثير، وسكنت عنه حتى سكن . ثمّ قالت : أنت الذى يقول :
 يروق العيون الناظرات كأنّه هِرَقْلِيٌّ وزنُ أحمرِ التَّبرِ وازنُ
 أهذا الوجه يروقُ العيون ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .
 فازداد خجراً وقال : قد أعلم من أنت، ولأقطعنك وقومك، وقام . فالتفت فإذا هى قد ذهبت .
 قال القرشى : فلما كان منصرفي من قديد، سألت مولاة هناك عن تلك المرأة وقلت لها :
 لك علىّ إن أخبرتنى من هى أن أطوى لك ثوبيّ هذين إذا قضيت إحرامى وآتيك بهما -
 فأدفعهما إليك . قالت : والله لو أعطيتني وزنهما ذهباً ما أخبرتك من هى . هذا كثير -
 وهو مولاي - قد آيت أن أخبره من هى .
 قال القرشى : فرحت وبى أشدّ ممّا بكثيرٍ ! .

عمر بن أبي ربيعة :

كان عمر بن أبي ربيعة^(١) معروفاً بشغفه حباً فى النساء ، وغشقاً لمحسنهن ، والتشبيب
 بمن يهواها ، وهذه أبيات له :

فلمّا تقضى الليلُ إلّا أقلهُ	وكادتُ توالى نجمه تتغورُ
أشارت بأن الحى قد حان منهم	هبوب ولكن موعدك عزورُ
فلما رأت من قد تنبه منهم	وأيقاظهم قالت : أثير كيف تأمرُ ؟
فقلت : أباديهم فيما أفوتهم	وإمّا ينال السيف ثأراً فيثأرُ
فقلت : أتحميقاً لما قال كاشحُ	علينا ، وتصديقا لما كان يؤثّرُ
فإن كان مالا بدء منه فغيره	من الأمر أدنى للخفاء وأسترُ
أقص على أختي بدء حديثنا	ومالى من أن تعلم متأخرُ

(١) فى خزانة الأدب ج ٣ .

لَمَّا أَن تَبَيَّنَا لَكَ مَخْرَجًا وَأَنْ تَرْجَبَا صَدْرًا بِمَا كُنْتَ أَحْصَرُ
فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا : أَعَيْنَا عَلَى فِتْنَى أَتَى زَائِرًا وَالْأَمْرُ لِلْأَمْرِ يُقَدَّرُ
فَأَقْبَلْنَا ، فَارْتَاعَتَا . . ثُمَّ قَالَتَا : أَقْبَلِي عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ
يَقُومُ فَيَمْشِي بَيْنَنَا مُتَنَكِّرًا فَلَا سِرُّنَا يَفْشُو وَلَا هُوَ يُبْصَرُ
فَكَانَ مَجْتَنِي دُونَ مَنْ كُنْتَ أَتَقَى ثَلَاثَ شَخْصٍ : كَاعْبَانَ وَمَعْصَرُ

من شعر أمية بن الصلت في الغزل :

قال أمية بن أبي الصلت من قصيدة له من « الطويل » :

أَلَا حَيِّيَا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلَى وَأَذْنِ أَصْحَابِي غَدَاً بِقَوْلِي
تَبَدَّتْ لَهُ لَيْلَى لِيَذْهَبَ عَقْلُهُ وَشَاقَتْكَ أُمُّ الصَّلْتِ بَعْدَ ذُحُولِ
أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا وَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ
إِذَا ذُكِرْتَ لَيْلَى تَنْشَتُكَ عَبْرَةٌ تَعَلَّ بِهَا الْعَيْنَانِ بَعْدَ نَهُولِ
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَالَ لِي : هَلْ سَأَلْتَهَا ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، لَيْلَى أَضْلَى خَلِيلِ
وَأَبْعَدُهُ لَيْلَى ، وَأَوْشَكُهُ قَلَى وَإِنْ سُئِلْتُ عُرْفًا فَشَرُّ مَسْئُولِ
لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُوِّحْتُ عَنْهُمْ بَلِيلَى ، وَلَا أُرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ
فَإِنْ حَاوَلَ الْوَاشُونَ عَنِّي بِكَذِبَةٍ فَرَوْهَا ، وَلَمْ يَأْتُوا لَهَا بِجَوِيلِ
فَلَا تَعْجَلِي يَا لَيْلَى أَنْ تَتَفَهَمِي بَنْصَحِ أَتَى الْوَاشُونَ أَمْ بِجُبُولِ
فَإِنْ تَبَدَّلِي لِي مِنْكَ يَوْمًا مَوَدَّةً فَقَدِمًا تَخَذْتُ الْفَرْضَ عِنْدَ بَدُولِ
وَإِنْ تَبَخَّلِي يَا لَيْلَى عَنِّي فَإِنِّي تَوَكَّلْنِي تَقْسَى بِكُلِّ بَخِيلِ
وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِي بِنَائِلِ قَلِيلِ ، وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلِ

وليس خليل باللول ، ولا الذى
ولكن خليل من يديمُ وصالَه
ولم أرَ من كَيْلى نوالاً أعدَه
يلومُكَ فى كَيْلى وعقلُك عندها
يقولون : ودّع عنك كَيْلى ولآتهم
فما انتفعت نفسى بما أمروا به
وقالوا : نأت فاختَر من الصبر والبكا
توليت محزوناً وقلت لصاحبي :
لقد أكثر الواشون فينا وفيكم
وما زلتُ من كَيْلى لدُنْ طرّاً شاربي

إذا غَبْتُ عنه باعنى بخليل
ويحفظُ سرّى عند كلّ دخيل
ألا ربّما طالبت غير مَنيل
رجالٌ ، ولم تذهبْ لهم بمقول
بقاطعة الأقران ذاتِ خليل
ولا عَجْتُ مِنْ أقوالهم بِفتيل
فقلت : البكا أشنى إذن لخليل
أفانلتى كَيْلى بنير قَتيل ؟ !
ومالَ بنا الواشون كلّ مميل
إلى اليوم كالْمَقْصَى بكلّ سبيل

حب امرئ القيس :

من بين جبال اليمن السعيدة وقد اشتهرت بمحصب أرضها - جبل يقال له : ضارج . .
وهو جبل معروف يعلو سفحه نبات أخضر يسمى « العَرْمَض » ويعلو الماء فيه مكان مرتفع
يقال له « طامى » ويقال له أيضاً : ثورُ الماء ، لتفجّر ثورانه من بين صخور وأحجار .
وقد ذكر البكرى أن ركبا من اليمن خرجوا يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم -
فأصابهم ظمأ شديد كاد يقطع أعناقهم ، فلما أتوا « ضارجاً » وهو ذلك الجبل الذى
يفى عليه الظلّ وارقاً جميلاً من نبات العرمض ، بخُفْزته البانعة ورائحته الطيبة . . . ذكر
أحدهم قول امرئ القيس :

ولما رأتُ أنَّ الشريعة هُمها وأنَّ البياضَ من قرائضها دَامى
تيمّمتِ العينُ^(١) التى عند « ضارج » يفى عليه الظلّ عَرْمَضُها طامى^(٢)
وإنّه لخبر عجيب - سقناه - على أثر من آثار الطبيعة التى أبدع الله صنعها .

(١) إشارة إلى الماء . (٢) الطامى : المرتفع الذى يعلو نباته الماء .

ذو الرمة ومية :

اشتهر ذو الرمة بحب خرقاء ، ولُقِّبَت : مية . ومما يؤثر عنه أنه يخاطب نفسه -
في قصيدة طويلة كلَّها غزلٌ ونسيبٌ فيقول :

إذا قلت ودّع وصل خرقاء واجتنب زيارتها تخلّقُ حبال الوسائل
وأهله ودّ فد تَبَرَّيتُ ودّهم وأبليتُهم في الحمد جَهْدِي ونائلي

توبة وليلى الأخيلية :

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان ، وأبو إسحاق الزجاج ، عن أبي العباس محمد
ابن يزيد المبرّد . قال ثبتت الروايات والأخبار أن « ليلي الأخيلية ^(١) » لم تكن امرأة
نوية بن الحمير ولا أخته ، ولا كان بينهما نسب شاك ، إلا أنهما كانا
جميعاً من بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان يحبها وتحبّه ،
فأقاما على حبّ عفيفٍ دهرًا ، وتلك هي السنّةُ في عشاق بنى عذرة وغيرهم ، إلى أن قتل
توبة . وكان سبب قتله أنه كان يطلبه بنو عوف - فأحسّوا قدومه من سفره ، فأتوه طروقاً ،
وبينه وبين الحىّ مسيرة ليلة ، ومعه أخوه « عبد الله ، ومولاه قابض » فهربا وأسلماه ،
ففي ذلك تقول « ليلي » :

دعاً قابضاً والمرهفات تنوشهُ فقُبِّحت مدعواً ، ولُبِّيت داعياً
فياليت عبد الله حلّ مكانهُ فأودى ، ولم أسمع لتوبة ناعياً

ومن جيّد ما تَرثيه به قولها :

فأقسمت ، أبكى بعد توبة هالكاً وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالوت عارٌ على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المغائر
فلا الحىّ ممّا يُحدث الدهر سالمٌ ولا الميت إن لم يصبر الحىّ ناشرٌ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي ص ٥٥ .

وكلُّ شبابٍ أو جديديٍّ إلى بلى وكلَّ امرئٍ يوماً إلى الله صائرُ
فلا يُبعدُكَ اللهُ توبةً هالكاً أخوا الحرب إذ دارت عليه الدوائرُ
وأقسمت لا أنفك أبكيك مادعت على غصن ورقاء أو طار طائرُ
قتيلُ بني عوفٍ فيالهفتا له وما كنت إياهم عليه أحاذرُ

قال أبو القاسم رحمه الله : قولها : « أقسمت أبكى بعد توبة هالكاً » أى : لا أبكى بعد توبة هالكاً . والعرب تضمر « لا » فى القسم مع المعنى - لأنَّ الفرق بينهُ وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون - كقولك والله لأخرجن ، وقال الله عز وجل : « تالله تفتأ تذكر يوسف » أى : لا تفتأ تذكر يوسف . وقولها : « ولا الميت إن لم يصبر الحى ناسر » يقال : نشر الله الموتى فنشروا - أى . أحياهم فخيوا .

قال الشاعر :

لو أسندتُ ميتاً إلى نحرها عاشَ ولمْ ينقل إلى القابرِ
حتى يقول الناس ممّا رأوا يا عجباً للميت النَّاسِرِ

ومن أغرب ما رُوِيَ فى (الصِّدى) ما رواه أبو على من أن ليلَى الأخيلية مرّت مع زوجها فى بعض نجمهم بالموضع الذى فيه قبر توبة ، وكانت متزوجة فى بنى الألكح بن عبادة ابن عقيل . فقال لها زوجها : لا بد أن أعرج بك إلى قبر توبة كي تسلمى عليه حتى أرى هل يجيب صداه كما زعم - حيث يقول :

ولو أن ليلَى الأخيلية سلّمت على ، ودونى جندلٍ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليم البشاشة . . أوزقا إليها صدى من جانب القبر صائحُ

فقال له : وما تريد من رمة وأحجار ؟ ! فقال : لا بُدَّ من ذلك ، فعدل بها عن الطريق إلى القبر ، وذلك فى يوم قائلٍ ، فلما دنت راحلتها من القبر ورفعت صوتها بالسلام عليه ، إذا بطائر قد استظلَّ بحجارة القبر من فيح الهاجرة ، فطار ، فنفرت راحلتها ووقعت ، فأتت !

وفي هذا الخبر ما يحقق ويصدق أن : البلاء موكلٌ بالنطق . كما يروى أن أحد المولعين
بالخمر قال :

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ تُرَوِّى عِظَامِي فِي الْمَاتِ عَرُوقَهَا
وَلَا تَدْفِنُونِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَلَّا أُذَوِّقَهَا
وبعد حين من ذلك ، مات ذلك المولع بالخمر ، وزار قبره ذا كِرٍّ له فإذا هو عليه عرش ،
فتمعجب من ذلك !

عميد الله بن طاهر وجاريته :

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج - قال : أخبرنا أبو العباس المبرّد قال :
دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر - وقد فصد فظننت أن ذلك لعملة ، فأكثرته له من
الدعاء . فقال : خفف عليك أبا العباس ، فليس ذلك لعملة ، وانظر ماتحت البساط ، فنظرت فإذا
رقعة فيها :

حَلَفَ الظَّرِيفُ بِقَطْعِهِ يَدَهُ إِنْ مَسَّ مِنْ يَهْوَاهُ بِالْأَلَمِ
حَتَّى إِذَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِهِ جَعَلَ الْفَصَادَ تَحِلَّةَ الْقَسَمِ
قلت : حسن أيها الأمير . فاسيبه؟ قال مددت البارحة يدي إلى إحدى الجوارى بالضرب
فألّمتُ لما ناكلها من الألم ، فخلّفت بقطع يدي ، فأقنيت بالفصد ، ففعلت . وأنشدنا الأَخْفَسُ
لأبي نواس :

مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَقْرَأُ خُفُوقًا وَأَرَاكَ تَرعى النَّجْمَ وَالْمَيُوقَا
وَجَفُونَ عَيْنِكَ قَدْ نَثَرْنَ مِنَ الْبُكَاءِ فَوْقَ الدَّمَاعِ لَوْلُؤًا وَعَقِيْقَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ إِنْسَانُ عَيْنِكَ سَابِحًا فِي بَحْرِ دَمْعَتِهِ لَمَاتَ غَرِيقًا

بحر هوى ليس له شطّ :

أخبرنا أبو بكر محمد بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال :
دخل بعض الشعراء على يحيى بن خالد البرمكي ، وبين يديه جارية يقال لها : خنساء ،
وكانت شاعرة ظريفة ، فقال له : اعبد بها فأنشأ يقول :

خنساء خنساء وحتى متى يرتفعُ الناسُ وتنحطُّ
قد صرت نضوا فوق فرش الهوى كأنني من دفتي خيطُ
فقلت خنساء :

وكيفَ منجأى وقد حلّ بي بحرُ هوى ليس له شطّ
يدركُك الوصلُ فتنبجُ به أو يقع الهجر فتتحطّ

حب زينب بنت إسحاق النصراني :

من فوائد الرضى الشاطبي المذكور ، ما ذكره أبو حيان في الحبّ قال : وهو من
غريب ما أنشدنا الإمام اللغوي رضي الدين أبو عبد الله محمد بن عليّ بن يوسف الأنصاري الشاطبي
لزينب بنت إسحاق النصراني :

عديّ وتيمّ لا أحولُ ذكرهم بسوء ولكنني حبتُ لهاهم
وما يعتريني في عليّ ورهطه إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون : ما بال النصراني تحبهم وأهل النّهي من أعرب وأعجم
فقلت لهم : إني لأحسبُ حبهم سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

التائب من الحب :

قال الحجازي^(١) : قال عبد الوارث : كان فيمن يقرأ على مملوك مديح الوجه ، رضى الخلق ، حاد الذكاء . فَخَلَوْتُ بِهِ يَوْمًا ، وداعبته بمبارات تُنْبِي عن شدة شغفي به ، فقال لى : حذار أن تعود لمثل هذا الكلام ، فللجُدْران آذانٌ ، وربّ عثرة لسانٍ ، أودت بإنسانٍ . . . ولكن إذا لم تستطع السكمان ، فاكتب لى ما تحب أن تقوله فى ورقة فتكون فى أمانٍ واطمئنان .

قال : فلما سمعت ذلك منه تمكّن الطمع منى ، وكتبت فى ورقة :
يا مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَفُوقُ به الْوَرَى صِلْ هائِمًا قد ظلّ فيك مُحَيَّرًا
وامْنُنْ علىّ بساعةٍ فى خلوةٍ إن كنتَ تطمعُ فى الهوى أن تُوجِرَا
وكتبت تحت البيتين كلامًا كثيرًا فى هذا المعنى ، ثمّ دفعت إليه الورقة خلسةً .
فلما حصلت الورقة عنده - كتب إلىّ فى غيرها : إنك كَتَمَلمُ أنّى من بيت عريق
فى التقوى . وسأبقى عندى خطك شاهدًا على ما فرط منك ، وَلَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأُطْلِعَنَّ
عليها أبى وغيره . فتصيبك فضيحة الأبد .

أما إن انتهيت فلن أخبر بها أحداً أبداً .
فلما وقفت على خطه ، علمت قدر ما وقعت فيه ، وجعلت أرغبُ إليه فى أن يرُدَّ الرُّقعةَ
إلىّ ، فأبى وقال :

هى عندى رهن على وفائك بآلا ترجع إلى التكلّم فى ذلك الشأن .
ولم يسمنى إلا أن امتثلت ، لأنّى رأيت صيانتى وناموسى فى يده ، وتبت عن مثل هذه
المداعبات .

الحب والجمال

حب امتداح النساء :

كان أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - من الشعراء المطبوعين على حب امتداح من يراه من النساء ، عن براءة في القصد ، تحمّل في طياتها روحاً لا تؤمن إلا بالواقع ، مهما يُكلّفه ما قصد إليه ، دون أن يقيم لذلك وزناً في استجلاب مرضاة أحدٍ ، ومهما يعترضه من خصوم أو لا يمين ، فن وسائله قلّته :

مضت الشبيبة والحبيبة فالتقى
ما أنصفتني الحادثات رميني
دمعان في الأجفان يزدهجان
بمودة عين ، وليس لي قلبان
وقوله من أخرى :

قلت للمين حين شامت جمالاً
لا يغرنك هذه الأوجه الغر
من بروق كواذب الإياض
فيارب حية في رياض
وقوله من أخرى أيضاً :

خليبي عهد بالليالي صوافيا
ولا تحسباً عيشي على فأنني
ولست أحب الضوء إلا لوجهها
ولو أنني أنصفتها ورعيتها
خليبي هل أبصرتما مثل أدمي
فأبأها أبتلن جيا بصاها ؟
أورخ يوم الموت يوم افتقادها
ولا البذر إلا طالما من بلادها
لسار فؤادي في طريق فؤادها
تفدت وحق الله قبل تقادها

وقال بعض الحكماء : ما أنس الإنسان ، ولا عمر المكان ، ولا سلى الأحران ،
ولا أعان على الزمان ، مثل البيض الموان .

وفي كتاب مُسْلِمٍ ، أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال : « الدنيا متاع ، وخيرُ متاعِ الدُّنيا المرأةُ الصَّالِحَةُ » .

وفي كتاب « الأربعين » للثَّقَفِي عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : سئل النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ ؟ فقال : التي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ ، وَلَا تَعْصِيهِ إِذَا أَمَرَ ، وَلَا تَخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ مِنْ نَفْسِهَا ، وَلَا مَالِهِ .

وفي « الشَّهاب » : « النَّظَرُ إِلَى الْمَرْأَةِ الْحَسَنَاءِ يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ » واللهُ دَرُّ أَبِي نَوَاسٍ إِذْ يَقُولُ :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

وقال شاعر آخر :

وَيَقْبُحُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي فَتَقَعْلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ

وقال غيره :

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مُحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

أعرابي يصف امرأة :

قال العُثْبِيُّ^(١) : سمعتُ أعرابياً يصف امرأة فقال : بيضاء جَعْدَةٌ ، لَا يَمَسُّ الثُّوبُ مِنْهَا إِلَّا مُشَاشَةً كَتِفَيْهَا ، وَحَكَمَةً تُدَيِّنُهَا ، وَرَضْفَى رُكْبَتَيْهَا ، وَجَانِبِي أَلْيَتَيْهَا ، وَأَنْشَدَ :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لَقْمِصِهَا مَسَّ الْبُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا
وَإِذَا الرِّيَّاحُ مَعَ الْعَمَشِيِّ تَنَاوَحَتْ نَبْهَنَ حَاسِدَةً ، وَهَجَنَ غَيُورًا

وقال آخرُ : لَيْتَ فُلَانَةً حَطَّيْتُ مِنْ أَمَلِي ، وَكُرْبَ يَوْمٍ سَرْتُهُ إِلَيْهَا حَتَّى قَبَضَ اللَّيْلُ بَصْرِي دُونَهَا ، وَإِنَّ مِنْ كَلَامِ النِّسَاءِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَاءِ فَيَشْفِي الظَّمَاءَ .

(١) في العقد الفريد ج ٢ ص ١١٥ .

وذكر أعرابي امرأة فقال : تلك شمسُ باهتِ بها الأرضُ شمسَ سَمَائِهَا ، وليسَ لي شفيعٌ في اقتضاءِهَا ، وإنَّ نفسي لَكُتُومٌ لِذَاهَا ، ولكنها تفيضُ عند امتلائِهَا . أخذَ هذا المعنى حبيب فقال :

ويا شمسُ أَرْضِيهَا التي تَمُّ نُورُهَا فباهتِ بها الأرضُ شمسَ سَمَائِهَا
شكوتُ وما الشَّكْوَى لِمِثْلِي عادةً ولكنْ تَفِيضُ النَّفْسُ عندَ امْتِلَائِهَا

وقيل لأعرابي : ما بالُ الحبِّ اليومَ على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال : نعم ، كان الحبُّ في القلب ، فانتقل إلى المَعِدَةِ ، إنَّ أَطْعَمَتُهُ شَيْئًا أَحَبَّهَا ، وإلَّا فلا . كان الرَّجُلُ إذا أَحَبَّ امرأةً ، ظلَّ حَوْلًا يطوفُ بِدَارِهَا ويفرحُ إنْ رَأَى من رَأَاهَا ، وإنْ ظَفَرَ مِنْهَا بِمَجْلِسٍ تَشَاكِيًا وتناشدا الأَشْعَارَ ، وإنَّه اليومَ يَشِيرُ إليها وتَشِيرُ إِلَيْهِ ، وَيَعِدُّهَا وَتَعِدُّهُ ، فإذا اجتمعا لم يشكوا حبًّا ولم يَنْشِدَا شِعْرًا .

وقال أعرابي يشكو لوعةَ الحبِّ وَكِتْمَانَهُ وَصَبْرَهُ على من يُحِبُّهُ ولا يطيقُ سُلوَانَهُ :
شكوتُ فَقالتُ : كلُّ هذا تَبَرُّمًا بِحُبِّي ، أراحَ اللهُ قلبَكَ من حُبِّي
فلما كَتَمْتُ الحبَّ قالتُ : لَشَدِّ مَا صَبَرْتُ ، وَمَا هَذَا بفعلِ شَجَى القلبِ
وَأَدْنُو فَتَقْصِيْنِي فَأَبْعِدُ طَالِبًا رضاها ، فَتَعْتَدُ التَّبَاعُدَ من دَنِي
فَشَكْوَايَ تُؤْذِيهَا ، وَصَبْرِي يَسُوءُهَا وَتَجْزَعُ من بُعْدِي ، وَتَنْفَرُ من قُرْبِي
فياقُومُ هلْ مِنْ حيلةٍ تَعْلَمُونَهَا ؟ أَشِيرُ وَإِيَّاهَا ، وَاسْتَوْجِبُوا الشُّكْرَ مِنْ رَبِّي

الوصف بعد المشاهدة^(١) :

اشتهر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني بروائع الكَلِمِ في نَظْمِ الشعر ، واتَّخَذَ لِنَفْسِهِ طرائقَ سَهْلَةً ، غايةً في البساطة ، فكان يسمُو بوصف ما أَحْسَنَ بِهِ ، واستساغَهُ ، ويَكْسُوهُ من رَقَّةِ المعاني أسلوبًا جميلًا يقرُّبُهُ إلى الفهم ، حتى يتذوَّقُ أَغْنَاءَهُ المستمعُ شَرابًا

(١) في خاص الخاص للتعالي .

عذباً سلسبيلًا ، ويملاً به المحزون صدره نسيماً صافياً عليلاً ، ومن بدائع طُرفه قوله :

أندى الذى قال وفى كفه مثل الذى أشرب من فيه

الورد : قد أينع فى وجنتى قلت : فمى باللثم ينجيه

وقوله ، ولم أسمع فى التعريض بالالتحاء أحسن منه :

قد برح الحب بمشتاقك فأوله أحسن أخلاقك

لا تجفهُ وارع له حقه فإنه آخر عشاقك

وقوله فى فصد الحبيب :

وليت نفسى تقسمت سقمك

عرفك أجرت من ناظرى دمك

تغيره إن لثمت من لثمتك

فألحظ به العرق واغتنم ألمك

ياليت عيني تحملت ألمك

وليت كف الطيب إذ فصدت

أعرته صبغ وجنتيك كما

طرفك أمضى من حد مبضعه

وقوله من قصيدة أولها :

وكيف طبق وجه الأرض صيبه

أم استمار فؤادى فهو يلهيه

من أين للمارض السارى تلهيه

هل استمان جفونى فهى تُنجده

ومنها :

لولا التجمل ما أنفك أندبه

دياره ، وأرانى لست أصحبه

من ذكره ولقلى ما يمدبه

ولا الفراق شجانى ، بل تجنبه

بجانيب الكرم من بغداد لي قمر

وصاحب ما صحبت الدهر مذ بعدت

فى كل يوم لعمري ما يؤرقها

وما البعاد دهاني ، بل خلاقه

وله أيضاً :

قلت : ولكن مطلب الرزق ضيق

ولم يك لي كسب ، فمن أين أرزق ؟

وقالوا اضطرب فى الأرض فالرزق أوسع

إذا لم يكن فى الأرض حر يُعيني

أَسْنَانُ النِّسَاءِ (١) :

قال أبو الحسن الأخفش : من أحسن ما قيل في ترتيب أسنان النساء ، وإن كان شعراً ضعيفاً ، قولُ ضَمْرَةَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ النَّذَرِ ، وقد سأله وصف النساء :

مَتَى تُلْقَ بِنْتُ « الْعَشْرِ » قَدْ نُصِّدَ بِهَا	كُلُّ لُؤْلُؤَةِ الْغَوَاصِ يَهْتَرُ بِحَيْدِهَا
تَجِدُ لَدَّةً مِنْهَا خَلْقَةَ رُوحِهَا	وَعُرِّيَّاتٍ ، وَالْحُسْنُ بَعْدُ يَزِيدُهَا
وَصَاحِبَةَ « الْعَشْرِينَ » : لَا شَيْءَ مِثْلُهَا	فَتِلْكَ الَّتِي تَلْهُوُ بِهَا وَتُرِيدُهَا
وَبِنْتُ « الثَّلَاثِينَ » : الشِّفَاءُ حَدِيثُهَا	هِيَ الْعَيْشُ مَا رَقَّتْ وَلَا دَقَّ عَوْدُهَا
وَأِنْ تُلْقَ بِنْتُ « الْأَرْبَعِينَ » فَنَبِطَةُ	وَأَخَيْرُ النِّسَاءِ : أَوْدُهَا وَوَلُودُهَا
وَصَاحِبَةُ « الْخَمْسِينَ » : فِيهَا بَقِيَّةُ	مِنَ الْحُسْنِ وَاللَّدَاتِ ، صُلْبُ عَمُودُهَا
وَصَاحِبَةُ « السَّتِينَ » لَا خَيْرَ عِنْدَهَا	وَفِيهَا ضِيَاعٌ ، لَا حَرِيصَ يُرِيدُهَا
وَصَاحِبَةُ « السَّبْعِينَ » إِنْ تُلْفَ مُعْرَسًا	عَلَيْهَا فَتِلْكَ خَزِيَّةٌ يَسْتَفِيدُهَا
وَذَاتُ « الثَّمَانِينَ » الَّتِي قَدْ تَجَلَّتْ	مِنَ الْكِبَرِ الْفَانِي وَقَدْ وَرِيدُهَا
وَصَاحِبَةُ « الثَّوْنَيْنِ » يَرَعَشُ رَأْسُهَا	وَبِاللَّيْلِ مِقْلَاقٌ قَلِيلٌ هُجُودُهَا
وَمَنْ طَالَعَ الْأُخْرَى ، فَقَدْ ضَلَّ عَقْلُهُ	وَتَحْسِبُ أَنَّ النَّاسَ طُرّاً عَبِيدُهَا

دَارَةُ يَلْعَبُ فِيهَا الْبَدْرُ (٢) :

عُرف الشيخ سعيد السَّمانُ الدَّمَشْقِيُّ ، بِحُبِّ الْجَمَالِ ، وَشَغَفِ بِتَصْوِيرِ مَا يَعْشَقُ تَصْوِيرًا حَسَّاسًا ، وَمِنْ قَوْلِهِ مَضْمَنًا مَصْرَاعَهُ الْآخِرَ :

يَارُبَّ ظَنِّي كَالدَّامِ حَدِيثُهُ	فَيُسَيِّغُهُ سَمْعِي وَعَقْلِي يَطْرُبُ
قَدْ خَلَّتْهُ شَمْسُ النَّهَارِ بِكَفِّهِ	مَرَاةٌ حُسْنُ لَوْنِهَا يَتَذَهَّبُ
وَالْوَجْهُ فِيهَا لَا تُخْفِئُ فَسْكَائِهَا	هِيَ دَارَةُ وَالْبَدْرِ فِيهَا يَلْعَبُ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي (٢) في سلك الدرر ج ١ ص ٢٠٨ .

وقال العالم أحمد التينى ، مضمناً نفس المصراع :

عائنته وكأنه من . لطفه راح تكاد لها اللواحظ تشرب
بالقل والشطرنج يلعب وهو فسطاط حُسن للسرة يجلب
يحكى الزمرد خضرة فكأنما هى دارة والبدر فيها يلعب

المرأة والطيب^(١) :

يَحْمِلُنْ أَرْجَةَ نَضْحُ الْعَبِيرِ بِهَا كَأَنَّ تَطْيَابَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومُ
الْأَرْجَةِ هُنَا : كناية عن المرأة شبهها بها في طيب رائحتها ، وما في لونها من الصفرة
وكانت العرب تكره بياض اللون المفرط ، ولذلك كانوا يعميرون قول الأعشى :
ومن كل بيضاء رُعبوبة لها بشر ناصع كاللبن
وكانوا يستحسنون قول ذى الرمة :
صفراء في نعج بيضاء في دَعَج كَأَنَّهَا فِضَّة قَدْ مَسَّهَا ذَهَب

تنف الوجه بالخيط^(٢) :

قال النازم : لما استقر بنا المقام ، بين إقدام وإحجام ، ودفعنا الحنين إلى ما يُحَمَّدُ
عقباه ، قرأنا على أبي بكر بن دُرَيْدٍ رحمه الله :
فلما مضى شهر وعشر لعيرها وقالو : يحيى الآن قد حان حينها
أمرت من الكتان خيطاً وأرسلت جرياً إلى أخرى قريباً تُعِينُهَا
هذه امرأة تلتظر عيراً تَقْدُمُ وزوجها فيها ، فأرادت أن تنف وجهها بالخيط وتهيا له .
والجري : الرسول . يقول : أرسلته إلى جارية لها تستعين بها في تنف وجهها بالخيط للترثين .
وبعد هذا سار مسترسلاً معبراً عن الخيط بالسلك ، لأنه أقرب إلى المعنى ، وأسلس في المبنى ،

(٢) فى أمالى القالى ج ١ ص ١٩٨ .

(١) فى الانفضاض ص ٣٨٢ .

فقال :

فإزال يَجْرِي السَّلْكُ في حَرٍّ وَجْهَهَا وجْهَهَا حَتَّى تُنْتَهُ قُرُونُهَا
ثَنَّتْهُ : كَفَّتْهُ . وَقُرُونُهَا : ذَوَائِبُهَا . وَمِنْهُ قَوْلُ مَجْنُونٍ لَيْلَى لَزَوْجَهَا :
بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبْلَتْ فَأَهَا ؟
وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَيْلَى رَفِيفَ الْأَفْحَوَانَةِ فِي شَذَاهَا

تشبيه المرأة بيدر السماء :

بَدَتْ لَيْسُ كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى
قوله : كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ ، في موضع الحال للمرأة أى : بَدَتْ مُشَبَّهةً الْبَدْرَ ، وَإِذَا تَبَدَّى
ظُرِفَ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ كَأَنَّ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ . أَيْ : بَرَزَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ كَشْفَةً عَنْ وَجْهِهَا ،
كَأَنَّهَا قَدْ أُرْسِلَتْ تَقَابَهَا . وَدَلَّ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ : كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى . وَإِنَّمَا فَعَلَتْ ذَلِكَ
إِنَّمَا لِلتَّشْبِيهِ بِالْإِمَاءِ حَتَّى تَأْمَنَ السَّيَاءُ ، أَوْ لِمَا تَدَاخَلَهَا مِنَ الرَّعْبِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
وَنِسْوَتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وَجُوهُهَا يُخْلَنَ إِمَاءُ ، وَالْإِمَاءُ حِرَارُ

لقاء فتى جميل الوجه في الجنة :

ذكر المبرِّد عن أبي كامل ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن رجاء بن عمرو النخعي قال :
كان بالكوفة فتى جميل الوجه ، شديد التعبد والاجتهاد . فنزل في جوار قوم من النخع ،
فنظر إلى جارية منهم جميلة ، فهُوِيَهَا وَهَامَ بِهَا عَقْلُهُ . وَنَزَلَ بِالْجَارِيَةِ مَا نَزَلَ بِهِ ، فَأُرْسِلَ يَخْطُبُهَا
مِنْ أَبِيهَا ، فَأَخْبَرَهُ أَبُوهَا أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ لِابْنِ عَمِّ لَهَا . فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمَا مَا يَقَاسِيَانِهِ مِنَ أَلَمِ الْهُوَى ،
أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ الْجَارِيَةُ ، قَدْ بَلَغْنِي شِدَّةَ مَحَبَّتِكَ لِي ، وَقَدْ اشْتَدَّ بِلَاثِي بِكَ ، فَإِنْ شِئْتَ زُرْتُكَ ،
وَإِنْ شِئْتَ سَهَلْتُ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى مَنْزِلِي . فَقَالَ لِلرَّسُولِ : وَلَا وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ الْخَلَتَيْنِ
« إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » أَخَافُ نَارًا لَا يَخْبُو سَعِيرُهَا ، وَلَا يَخْمَدُ لَهْيُهَا .

فلما أبلغها الرسول قوله ، قالت : وأراه مع هذا يخاف الله . والله ما أحد أحق بهذا من أحد ، وإن العباد فيه ل مشتركون . ثم انخلعت من الدنيا ، وألقت علائقها خلف ظهرها ، وجعلت تتعبد . وهي مع ذلك تذوب وتنحل حباً للفتى وشوقاً إليه حتى ماتت من ذلك . فكان الفتى يأتي قبرها فيسكني عنده ، ويدعو لها . فنلبته عينه ذات يوم على قبرها ، فرآها في منامه في أحسن منظر . فقال لها : كيف أنت وما لقيت ؟ قالت :

نعمَ المحبةُ يا سؤلى محبتكمُ حباً يقودُ إلى خير وإحسان
فقال : على ذلك إلام صرت ؟ فقالت :

إلى نعيمٍ وعيشٍ لا زوال له في جنّة الخلد مُلكٌ أبسَ بالآلاني

فقال لها : اذكريني هناك ، فأتى لست أنساك . فقالت : ولا أنا والله أنساك ، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا ، فأعنى على ذلك بالاجتهاد . فقال لها : متى أراك ؟ فقالت : ستأتينا عن قريب فترانا . فلم يعيش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات ، رحمه الله . وذكر الزبير بن بكار ، أن عبد الرحمن بن أبي عمار نزل مكة ، وكانت من عباد أهلها ، فسمي القس من عبادته . فرّ يوماً بجارية تغني ، فوقف فسمع غناءها فرآه مولاه . فأمر أن يدخل عليها فأبى . فقال له : فاقعد في مكان تسمع غناءها ولا تراها . ففعل فأعجبته . فقال له مولاه : هل لك أن أحوّلها إليك ؟ فامتنع بعض الامتناع ، ثم أجابه إلى ذلك . فنظر إليها فأعجبته ، فشغف بها وشغفت به .

وعلم بذلك أهل مكة . فقالت له ذات يوم : أنا والله أحبك ، فقال : وأنا والله أحبّ ذلك . قالت : فما يمدك ؟ فإنّ الموضع خال ! قال لها : ويحك ، إني سمعت الله يقول : « الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » . فأنا والله أكره أن يكون صلة ما بيني وبينك في الدنيا عداوة يوم القيامة . ثم نهض وعيناه تدرقان بالدموع من حبها !

تكنى المرأة بالشاة أو البيضة^(١) :

خرج الرشيدُ في بعض أسفاره . فأخرج معه أخته عُلَيَّةَ ، وكان قد بلنه أنها تُعَجَّب
بسلام له اسمه « رَشَا » فأبعده ، وقيل قَتَلَهُ . ثمَّ إنها علقت من بعده غلاماً آخر اسمه
« طَلَّ » فكانت تكثُرُ من ذكرها له . فقال لها الرشيدُ : والله لئن ذكرته لَأَقْتُلَنَّكَ ،
فدخل عليها يوماً على حين غفلةٍ وهى تقرأ قوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ » .
فلما شعرت به قرأت أول الآية « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ » ثمَّ أَمْسَكَتْ حتَّى لا تذكر اسم
(طَلَّ) وأكملت قائلة : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ . . . فإلى نهي عنه أمير المؤمنين .
فابتسم الرشيدُ وقال لها : « ولا هذا أيضاً يا أُخِيَّةَ » .

وقيل إنَّه أخرج ذلك الغلام من قصره ، فطار قلبها حزناً لفراقه ، وقالت :
أَيَا سَرْحَةَ البُسْتَانِ طَالَ تَشْوُقِي فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ إِلَيْكَ سَبِيلُ ؟
متى يشتفى من لَيْسَ يُرْجَى خُرُوجُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ
فانظر كيف وَرَّتْ « بِظِلِّ عَنْ طَلِّ » بعد أن قدّمت ذكر السَّرْحَةِ - وهى الشجرة -
لتتمكن من لفظة ظِلِّ فتبعد التَّهْمَةَ . وكثيراً ما تذكر العرب لفظة السَّرْحَةَ أو الشاة أو
البيضة أو القلوص ، وهى الشابة من الإبل ، وتكنى بذلك عن المرأة .

وكانت أم حكيم من أجمل نساء وقها ومن أشجع الناس وأحسنهم بديهةً ، خطبها
جماعةٌ من أشراف الخوارج فدَّعَوْهُمْ ، وكانت مع أمير الخوارج قَطْرِيَّ بن الفجاءة ، فى جُنْدِ
(الأَبَاضِيَّةِ) فكانت ترتجزُ فى تلك الحروب وتقول :

أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَمْتُ سَحْلَهُ وَقَدْ مَلَّتُ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ

أَلَا فَتَى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ ؟

والخوارجُ يَفْدُونَهَا بِالْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، وكان « قَطْرِيَّ » يُشَبِّبُهَا . وفيها يقول
فى وَقْعَةِ دُولَاب ، وهو من رقيق النزل :

(١) فى سنن المتهدى ص ١٩٣ .

لَمَمَرُّكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدُ
 مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يُرْ مِثْلُهَا
 لَمَمَرُّكَ إِنِّي يَوْمَ الظُّمِّ وَجَّهَهَا
 وَلَوْ شَاهدْتَنِي يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصَرْتُ
 غَدَاةَ طِفْتٍ عِلْمَاءَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ
 فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَقْعَصًا
 وَضَارِبَةً حَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى
 أُصِيبَ بِدَوْلَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا
 فَلَوْ شَاهدْتَنِي يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا
 رَأَتْ فِتْيَةً بَاعُوا الْإِلَهَ نَفُوسَهُمْ
 وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ « أُمَّ حَكِيمٍ »
 شَفَاءَ لَذَى بَثٍّ وَلَا لَسْقِيمٍ
 عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جِدُّ لَثِيمٍ
 طِعَانٍ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ
 وَعُجْنًا صُدُورِ الْخَيْلِ نَحْوِ تَمِيمٍ
 يَمِجُّ دَمًا مِنْ فَايِظٍ وَكَلِيمٍ
 أَغْرَ نَجِيبِ الْأُمَمَاتِ ، كَرِيمٍ
 لَهُ أَرْضُ دَوْلَابٍ ، وَدِيرُ حَمِيمٍ
 تُبْسِحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمٍ
 بِجَنَّةٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَنَعِيمٍ

أَسْمَاءُ النِّسَاءِ (١) :

• وَلَا بِنَ الْوَرْدِي فِي « أَسْمَا » :

أَرَى أَسْمَا إِذَا غَضِبْتَ وَصَدَّتْ
 وَإِنْ هِيَ وَاصِلَتْنِي طَابَ قَلْبِي
 وَفِيهَا أَيْضًا :

قَدْ لَامَنِي فِي حَبِّ أَسْمَا عَاذِلُ
 فَاجِبُ لِمَجْرَى مَدَامِعِ أَوْقَفْتَهَا
 وَفِي أَمْنَةٍ :

قَدْ وَعَدْتَنِي بِالْوَفَا أَمْنَهُ
 كَيْفَ يَخَافُ الْقَلْبُ مِنْ يَنْهَا
 وَقَدْ غَدَتِ بِالرِّضَا أَمْنَهُ
 وَمَهْجَتِي أَضَحَّتْ بِهَا أَمْنَهُ

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن الرطيب قوامها محبتها في لجة القلب كامنه
تهددنى بالهجر في الوصل عامداً فأصبح منها خائفاً وهي آمنه
واللازهرى في أنس :

أنست بالوصل مذ جاءت به أنس يوماً وعاذلها قد باء بالخرس
عن مالك قد روى نيران وجنتها لكن حديث الالقا أرويه عن أنس
وله في حليلة :

قالوا حليلة صبحت بفرط وجدى عليه
لم لا ترق لحالى فى الحبّ وهى حليلة
وفى خديجة :

خديجة قد سبتنى بنار خدّ وهيجه
وكانت الروح تقسو والآن روحى خديجه
وفيها أيضاً :

نمشق فى الهوى قلبى فتاةً تزين البدر ذو حسن بهيجه
أموت بحبها شوقاً وأحيا إذا ناديت ياستى خديجه
وفى زينب :

وعرض بذكرى حين تسمع زينب وقل ليس يخلو ساعة منك آله
عساها إذا ما مرّ ذكرى بسمها تقول فلان عندكم كيف حاله ؟
وفى سلمى :

لسلمى من لواظها سهام لها فى القلب فتك أىّ فتك
إذا رامت تشكّ به فؤاداً يعوت السهام بنير شكّ
وفى عائشة :

أيا دهرُ خبرنى بمحَقِّك واشفىنى فسهام فسكرى فى أمورى طائشه
أحمل أنى فى المحبة ميّت وحبيبتى من بعد موتى عائشه

وفيها أيضاً :

شغل القلب بقدر أهيف
أمت دعني أن أمت في حبها
تركت منه العوالي طائشه
ثم دعها بعد عيني عايشه

وفي فاطمة :

فاطمة مذ كنت طفلاً بها
كم أرضعتني وصلها بالهنا
مت جوى وهي بذات عالمه
ثم انثنت لي بأنها فاطمه

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن لها قائمه
قد أرضعت طفل الهوى مرة
عادلته مع أنها ظالمه
بوصلها ثم انثنت فاطمه

وفيها أيضاً :

قاتاني قد أصبحت
ناديتها يا مهجتي
والبحر منها كاظمه
ما الاسم ؟ قالت : فاطمه

وللازهرى في نفيسة :

نفيسة بالها ملكت فؤادي
وقد حازت لفرط سنا بهاها
وأخت في ملاحتها رئيسه
وذات الحسن مرتبة نفيسة
ولا بن الجليل في عالمه :

عالمه عامله بالجفاء
قلت لها هل تعلمين الذي
قامتها عادلته ظالمه
ألقاه قالت إنني عالمه

وله أيضاً - فيها :

عالمه لها على
وأوتيت من كل شيء
كرسيها فضل جسيم
ولها عرش عظيم

ولا بن الوردى في قابله :

أقول لقابله أدمعي
أنا رجل مقبل للقا
على حبها تقطع السابله
قالت وأنا امرأة قابله

وله في كاتبة :

كاتبة توقيع نسخ الجفا يصدر عن ممتها الراحمة
تسكن أسرار رقاى لها أحسن بها كاتبة كاتمة

وله في فقيهة :

تفقت في عذابى وبالت في جدالى
خود تسيط غراى عن طرفها الغزالى

ولالأزهرى - في خياطة :

أحببها كالبدر خياطة منزلها في القلب والطرف
فلى ركوب الفرج من وصلها وللقب الشل بالكف

وله في عجانة :

كلف الفؤاد بطبية عجانة ما كنت يوماً آمناً من هجرها
عجنت فؤادى بالگرام فئاؤها من أدمعى ودقيقها من خصرها

وله في جبانة - أى بائمة الجبن :

بايمة جبن منذ همت بها رأى الورى روحى بها تعبانة
وكل أهل الحى قد تحققوا بأننى أموت فى الجبانة

وله في مسخرة :

عجبت فى رمضان من مسخرة بديمة الحسن إلا أنها ابتدعت
جاءت تسخرنا يوماً فقات لها كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

ولابن الوردى في رومية :

رومية الأصل لها مقلدة تركية صارمها هندى
تفضحنى وجنّها فاعجبوا من وجنة فانحة الوردى

وله في مصرية :

مصرية كأنها بدر فجّل من خلق
تملقى مكرراً ولا ينكر من مص الملق

وله في شامية :

شامية شامة بوجنتها يرقّ لي في حبّها الشّامةُ
أخشى من اللّامة إذا قبلتها فشموم بجنتي ينطق الصامتُ

وله في بدويّة :

وبى من البدو كلاء الجفون بدت فلو لم بدت لحسان الحضر قن لها
في قومها كهواة بين آساد على الرؤوس وكان الفضل للبادي

وله في عراقية :

بى هيفاء من بنات العراق ثم قالت : أتيت من باب ابرز
أطلقت أدمعى وشدت وثاقى بالعطايا رأيت باب الطّاق

وله في مشرقية :

جاءت من المشرق لا مالنا وقالت : احذر يا فتى فتنةً
في عينها شيء ولا جا هنا للنّاس ، والفتنة من هاهنا

وله في مغربية :

يابنات الشرق حاذرن السّطا ماظهر البدر من مشرقه
إن بنت الغرب في موكبها كطلوع الشمس من مغربها
وللأزهري في مجوسية :

عابدة النور سنا نورها قد أحرقت قلبي بهجرانها
أوضح لي في الحب أعذارا فالويل ممن يعبد النارا
وله في نصرانية :

زنار بنت النصارى رجاني الشّد منه
فخّ لها أى فخّ وكثرة الشّد ترخى

وقال آخر في مليحة تلعب بالشطرنج

لاعبتها بالشطرنج ثم ضربتها

قالت : فنفسك ، قلت : حصّنتها

بالرخ شاة تسترت بالفيل

لكن خذى فرسى هناك وفيلي

الغزل ووصف النساء

الغزل والتغزل والفرق بينهما^(١) :

قيل لأبي السائب المخزومي : أترى أحداً لا يشتهي النسيب ؟

فقال : أمّا من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا !

والنسيبُ والتغزلُ والتشبيبُ كلها بمعنى واحد .

قيل : الغزل هو إلفُ النساءِ والتخلُّقُ بما يوافقهنّ ، فمن جملة بمعنى التغزل فقد أخطأ .

وقدنبه على ذلك « قدّامة » وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .

وقال الخاتمي : من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه ، أن يكون ممزوجاً

بما بعده من مدحٍ أو ذمٍّ ، متصلاً به غير منفصل منه ؛ فإن القصيدة مثلها مثلُ خلق الإنسان

في اتّصال بعض أعضائه ببعض ، فتبي انفصل واحد من الآخر وبأيّنه في صحّة التركيب ،

غادر بالجسم عاهة تنحوّن محاسنه وتعفى معالم جماله .

ياليل الصب متى غده^(٢) ؟ :

من نواحر الطرائف ما ذكره « ابن بشكوال » في كتاب الصلة . كما ذكره الحميدى أيضاً .

وهو : كان أبو الحسن ، عليّ الحصريّ القيروانيّ ، ابنُ خالة أبي إسحاق صاحب « زهر الآداب »

حافظاً فلقها ، وأديباً عالماً بالقراءات وطرقها .

وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في « سبّعة » وغيرها ، وله قصيدة نظمها في قراءات

نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة ، وله ديوان شعر . ومن قصائده السائرة القصيدة المشهورة

التي أوّلها :

(١) في العمدة : لابن رشيق ج ٢ ص ٩٤ (٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٣٢

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
وقد وازمها صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن محمد الكنانى أبو الفضائل المعروف
بالقمرأوى رحمه الله بأبيات من جملتها :

قد ملَّ مريضك عُوْدُهُ	ورأتى لِأَسِيرِكَ حُسْدُهُ
لم يُبْقِ جَفَاكَ سِوَى نَفْسِ	زَفَرَاتُ الشَّوْقِ تُصْعِدُهُ
هاروتُ يَعْتَمِنُ فِي السَّحْ	رٍ إِلَى عَيْنَيْكَ وَيُسْنِدُهُ
وَإِذَا أَعْمَدَتِ اللَّاحِظَ فَتَكَ	تَ فَكَيْفَ وَأَنْتَ تَجْرِدُهُ
كَمْ سَهَّلَ خَذُّكَ وَجْهَ رِضَاً	وَالْحَاجِبُ مِنْكَ يُعَقِّدُهُ
مَا أَشْرَكَ فِيكَ الْقَلْبَ فَكَمْ	فِي نَارِ الْهَجْرِ يُخَلِّدُهُ

أما قصيدة أبي الحسن على الحصرى القيروانى فهي :

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ	أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رَقَبَ السَّمَارُ فَأَرْقَهُ	أَسْفُ لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ
فَبَكَاهُ النَّجْمُ وَرَقَّ لَهُ	بِمَا يَرَعَاهُ وَيَرْصُدُهُ
كَلِفْتُ بَغْزَالٍ ذِي هَيْفٍ	خَوْفَ الْوَاشِينَ يَشْرُدُهُ
نَضَبْتُ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكَاً	فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصِيدُهُ
وَكُنِيَ عَجْباً أَنَّى قَنَصُ	لِلسَّرْبِ سَبَانِي أَعْيِدُهُ
صَنَمٌ لِلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبٌ	أَهْوَاهُ وَلَا أَتَعْبِدُهُ
صَاحٍ وَالْخَمْرُ جَنَى قَمِهِ	سَكْرَانُ اللَّحْظِ مُعْرِبُهُ
يَنْضُو مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفَاً	وَكَأَنَّ نُمَاسَاً يَغْمِدُهُ
فَيُرِيْقُ دَمَ الْعُشَاقِ بِهِ	وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَّقِلُهُ
كَلَا ، لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ	عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
يَا بَنُ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي	وَعَلَى خَدَّيْهِ تَوْرُدُهُ
خَذَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بِدَمِي	فَعَلَامَ جُفُونِكَ تَجْحَدُهُ

إِنِّي لِأُعِيذُكَ مِنْ قَتْلِي وَأُظَنِّكَ لَا تَتَعَمَّدُهُ
 بِاللَّهِ هَبِ الْمُسْتَأَقَّ كَرَرِي فَلَمَلَّ خِيَالَكَ يُسْعِدُهُ
 مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنْيَ صَبَّ يَدُنِيكَ وَتُبْعِدُهُ
 لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلَيْبِكَ عَلَيْهِ عُوْدُهُ
 وَغَدًا يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ . . يَتَزَوَّدُهُ
 يَا أَهْلَ الشَّوْقِ لَنَا شَرَقٌ بِالْذَّمِّ يَفِيضُ مُورِدُهُ
 يَهْوَى الْمُسْتَأَقَّ لِقَاءَكُمْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَبْعِدُهُ
 مَا أَخْلَى الْوَصَلَ وَأَعَذَّبَهُ لَوْلَا الْإِيَّامُ تَسْكُدُهُ
 بِالْبَيْنِ وَبِالْهَجْرَانِ ، فَيَا لِفُؤَادِي كَيْفَ تَجْعَلُهُ
 الْحَبَّ أَعَفُّ ذَوِيهِ أَنَا غَيْرِي بِالْبَاطِلِ يُفْسِدُهُ

استحسان وضاعة الوجه^(١) :

كان لعز الدولة غلام ذكي وضى الوجه ، ولفرط ميله إليه - جعله رئيس سرية جردت
 للحرب ، ولم يستحسن الميلى ذلك منه ، فكتب إليه :

ظَنِّي يَرْقُ الْمَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ وَيَرُوقُ عُوْدُهُ
 نَاطُوا بِمَقْدِ خَصْرِهِ سَيْفًا وَمِنْطَقَةً تَوُوْدُهُ
 جَمَلَاوُهُ قَائِدَ عَسْكَرٍ ضَاعَ الرَّعِيلُ وَمَنْ يَقُوْدُهُ
 وَكَانَتْ الدَّائِرَةُ عَلَى جَيْشِ الْغَلَامِ كَمَا أَشَارَ الْمِيْلِيُّ !

وفي « خزائن الأدب » للبندادى ج ٣ :

الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، والجميلة هي التي تأخذ بصرك جملة ،
 فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة هي التي كلما كررت بصرك منها زادتك حسنا .

(١) في نفع الطيب .

وقيل : الجميلة هي السمينية من الجميل وهو الشحم . والمليحة : هي البيضاء ، والصبيحة كذلك ، من الصُّبْحِ لبياضه .

وروى أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « حُسْنُ الْوَجْهِ مَالٌ » .
وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « اطلبوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ » .
وقال ابن عمر : قال صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ تَجْلُو الْبَصَرَ : النَّظَرُ إِلَى الْخَضِرَةِ ،
وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَاءِ الْجَارِي ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ » .

ونظمها الشاعر فقال :

ثَلَاثَةٌ يَذْهَبْنَ لِلْمَرْءِ الْحَزْنَ الْمَاءُ ، وَالْخَضِرَةُ وَالْوَجْهُ الْحَسَنُ

كواكب لا كواعب :

كلن عبد العزيز بن سرايا ، وهو الإمام العلامة شاعر عصره على الإطلاق . وقد أجاد القصائد المطولة والمقاطيع ، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السماء ، كما قد أزرى زهر الأرض في الربيع ، تطربك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه المسولة ، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة وسيوف مسلولة .

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ . ورحل إلى مصر سنة ٧٢٦ ، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير ومدحه ، كما مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبي التي أولها : « بأبي الشُّموس الجانحات غواربا »
وفيهما يقول :

أُسْبِنَ مِنْ فَوْقِ الْهُودِ ذَوَائِبًا فَتَرَكْنَ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبًا
وَجَلَوْنَ مِنْ صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْعَةً غَادَرْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبًا
بِضْ دَعَاهُنَّ النَّبِيُّ كَوَاعِبًا وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشْدَ قَالَ كَوَاكِبًا

سَقَرْنَ رَأَى الْمَانَوِيَّةَ عِنْدَمَا
وسفرن لي ، فرأيت شخصاً حاضراً
أمرقن في حُللٍ كأنَّ أديمها
وغربن في كِللٍ ، فقلتُ لصاحبي :
وَمُعْرِيدِ اللَّحْظَاتِ يَلْثِي عِطْفُهُ
حُلُوُ التَّعْتَبِ وَالذَّلَالِ يَرَوْعُهُ
عَانَتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَانُهُ
فَأَرَانِي اخْدَعَ الْكَلِيمَ فَطَرَفُهُ
ذُو مَنَظَرٍ تَغْدُو الْقُلُوبُ بِحُسْنِهِ
لَا غُرُوْا إِنْ وَهَبَ اللَّوَاظِ حَظْوَةً
أَسْبَلْنَ مِنْ ظُلْمِ الشُّعُورِ غِيَاهِبًا
شُدِّهَتْ بِصِرْتِهِ ، وَقَلْبًا غَائِبًا
شَفَقُ تَدْرِهُمُهُ الشُّمُوسُ جَلَابِيَا
« يَا بِي الشُّمُوسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبَا »
فِيُحَالُ مِنْ فَرَحِ الشَّبَابَةِ شَارِبًا
عَتِيي ، وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبًا
وَأَزُورُ الْحَاظِلَ وَقُطْبَ حَاجِبِيَا
ذَوِ النَّوْنِ إِذَا ذَهَبَ النَّدَاةُ مُغَاضِبًا
نَهَبًا وَإِنْ مَنَحَ الْعَيُونَ مَوَاهِبَا
مِنْ نُورِهِ ، وَغَدَا لِقَابِي نَاهِبَا

كل فتاة بأبيها معجبة^(١) :

أرجوزة للأغلب العجلى ، يقول فيها :
كريمةٌ أخوالها والمصبة
كانها حقةٌ مسكٍ مذهبته
كانها حليةٌ سيفٍ مذهبته
ثم انتنت به فويق الرقبة
فأعلنت بصوتها : أن يا أبة
قباء ذات سرةٍ مُقَعَّبَةٍ
مكورة الأعلى رداح الحجة
أهوى لها شيخٌ شديد المصبة

« كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ »

(١) في خزنة الأدب ج ١ : أرجوزة للأغلب العجلى يقول فيها :

أصل بليتي من قد غزاني^(١) :

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبى السعدى الصقلى المعروف
بالقاضى الجليس - ما يدعو إلى الحكمة فى غزله - وقد عاش نحواً من سبعين عاماً - كما تولى
ديوان الإنشاء للفائز مع الموفق بن الخلال ، ومن مداعبته :

حيّا بتفاحة مخضبة من شفتى حبه وقيمي
فقلت : ما إن رأيتُ مُشبهها فاحمرّ من خجلة فكذبني

وقال أيضاً :

وأصلُ بليّتي من قد غزاني من السقم المُلح بعسكرين
طبيبٌ طبه كخراب يّني يفرّق بين عافيتي وبينى
أتى الحمى وقد شاخت وباحت فعاد لها الشبابُ بنسختين
ودبرّها بتدبيرٍ لطيفٍ حكاؤه عن سنينٍ أو خننٍ
فكانت نوبةً فى كلّ يومٍ فصيرّها بحذقٍ نوبتين

وقال أيضاً :

يا وارثاً عن أبٍ وجلدٍ فضيلة الطبِّ والسَّدادِ
وحاملاً ردّ كلّ نفسٍ همت عن الجسم بالعمادِ
أقسيمُ لو قد طببت دهرًا لعاد كونا بلا فسادِ

وقال من جناس بديع :

رُبَّ بيضٍ سلّانٍ باللحظ بيضا مرهفاتٍ جفونهنّ جفونُ
وخسودٍ للدّمع فيها خُدودٌ وعيونٍ قد فاض منها عُيونُ

(١) فى فوات الوفيات .

وقال أيضاً :

حَبَّذا مُتَعَةُ الشَّبَابِ يُهْ ذَرُّ فِي حُبِّهَا خَلِيعُ الْعِدَارِ
إِذْ بَذَاتِ الْحَارِ أُمْتَعُ كَلِيلِ وَبَذَاتِ الْخِمَارِ الْهُوَ نَهَارِ
وَالْقَوَانِي لَا عَنْ وَصَالِ غَوَانِ وَالْجَوَارِي إِلَى جَوَارِي جَوَارِي

تشبيب عمر بن أبي ربيعة :

كانت عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، مديدة الجسم مكنتزة اللحم ، على جانب وافر من الجمال ، حسنة الصورة ، وفي خلقها ثقة وعزة وصرامة ، حتى أن أباهريرة رآها يوماً فسبح وقال : كأنها من الحور .

وقد روى أبو الحسن المدائني ، عن عمر وأبي طارق بن المبارك ، أن عمر بن أبي ربيعة

قال يشبب بعائشة ابنة طلحة :

أصبح القلبُ في الخيال رهيناً مقصداً يوم فارق الظاعنين
لم يرُ عني إلا الفتاة وإلا دمعها في الرداء سخا سخينا
عجلت حمةُ الفراق عكينا برحيلٍ ولم تخف أن تينا
أنتِ أهوى العباد قُرْباً ووداً لو تواتين عاشقاً محزوناً
قاده الطرفُ يوم مرَّ إلى الحي نـ جهاراً ولم يخف أن يمينا
وجلاً برد بركة جندي ضوء وجهه يضيء لناظرينا
فإذا ظبية تراعى نماجاً ومهاً بهج الناظر عيناً
قلتُ : من أنتم ؟ فصدت وقالت أميدٌ سؤالك العالمين ؟
قلتُ : بالله ذي الجلالة لمّا إذ تبلتِ الفؤاد أن تصدقينا
أى من تجمعُ المواسم أنتم فأبيني لنا ولا تكذينا

نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينًا
 قَدْ صَدَقْنَاكَ أَنْ سَأَلْتِ فَنُ أَ؛ تِ عَسَى أَنْ يَجُرَّ شَأْنُ شُؤُونَا
 قَدْ نَرَى أَنَّنَا عَرَفْنَاكَ بِاللَّهِ تِ نَظَنُّ وَمَا قَتَلْنَا يَقِينًا
 بِسَوَادِ الثَّيْتَيْنِ وَكُنْزِهِ قَدْ رَأَاهُ لِنَاظِرِهِ مُسْتَبِينًا
 فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ : وَاللَّهِ مَا قَلْتُ لَهُ هَذَا وَمَا كَلَّمْتُهُ قَطَّ .

وأبنا أبو الحسن عبد الله بن قائد قال : دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن عبد الملك فحدثته وقالت : يا أمير المؤمنين ، مُرّ لي بأعوان ، فصير إليها قوماً يكونون معها ، فحجبت ومعهما ستون بنلاً عليها الهوداج والرحائل .

صَبَّحُ الْمَشِيبِ يَدَكَ عَلَى لَيْلِ الشَّبَابِ ^(١):

قال الأمير أسامة بن منقذ :

وَأَخُو الشَّيْبِ يَجُوزُ ثَمَةً يَهْتَدِي
كَمْ حَارَ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ ، فَدَلَّهُ
وَأِذَا عَدَدْتَ سِنِيَّ نَمَّ نَقَصْتُهَا
صُبْحُ الشَّيْبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ
وَمَنْ الِهْمُومُ فَتِلْكَ سَاعَةٌ مَوْلِدِي

الشاعر الغزال (٢) :

من روائع البيان ما حكاه ابن حيان ، من أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم لمرواني ، وجه شاعره الغزال ، إلى ملك الروم ، فأعجب الملك حديثه لما حواه من رقة المعاني يخف على قلبه ما احتواه من دقة المباني ، وسر به سروراً عظيماً ، ونال من لذه رُداً وتسكريماً ، حتى إنه مال إليه ، وقرّبه لديه ، فطلب منه منادمته ، إلا أنه امتنع لما أدرك جليلة الأمر معتزلاً بتحريم الخمر .

(١) في خلاصة الأثر ج ٣ ص ٢٦ . (٢) في نقح الطيب ج ١ ص ٤٥١ .

فلما أن كان يوماً جالساً عنده، إذ خرجت زوجة الملك وعليها زينتها. ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالعة حسناً وضياءً، فالكبت النزال لا يميل طرفه عنها شغفاً بباهر ما استرعاها منها، وجعل الملك يحدثه وهو لا يهتد عن حديثه. فأنكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله. فقال له: عرفته أأنتي قد بهرتني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه، فأني لم أرق مثلاً. وأخذ في وصفها وما شاهده من عجب جمالها ودلالها، حتى لكأنما شوقته إلى لقاء الحور العين. فلما ذكر الترجمان ذلك للملك الروم، زاد إعجابه بالشاعر النزال. كما سررت الملكة بوصفه لها.

غزال قد غزا قلبي^(١):

في كتاب «الطرب» حكى أبو الخطاب بن دحية أن النزال، وشهرة اسمه «غزال» أرسل إلى بلاد الجوس، وقد قارب الخمسين أو تزيد، وقد وخطه الشيب ولكنّه كان مجتمع الأشد، ضليع الجسم، قسيماً وسيماً، فسألته يوماً زوجة الملك، واسمها (تود) عن سنه. فقال مداعباً: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشيب؟ فقال: وما تنكرين من هذا؟ ألم ترني قط مهنراً ينتج وهو أشهب؟ فأعجبت بقوله، وقال في ذلك:

كُلِّفْتُ يا قلبي هوى مُتَعِباً	غَالِبَتْ مِنْهُ الضَّيْعَمُ الْأَغْلَبَا
إِنِّي تَعَلَّقْتُ بِجُوسِيَّةٍ	تَأْبَى لشمس الحُسْنِ أَنْ تَغْرُبَا
أَفْصَى بِلَادِ اللَّهِ فِي حَيْثُ لَا	يُذْفَى إِلَيْهِ ذَاهِبٌ مَذْهَبَا
يَا تَوْدُ يَا وَرَدَ الشَّبَابِ الَّذِي	تُطْلِعُ مِنْ أَرْزَادِهَا الْكُوكَبَا
يَا بَابِي الشَّخْصُ الَّذِي لَا أَرَى	أَحْلَى عَلَيَّ قَلْبِي وَلَا أَعْدَبَا
إِنْ قُلْتُ يَوْمًا إِنَّ عَيْنِي رَأَتْ	مُشَبِّهَةً لَمْ أَعُدْ أَنْ أَكْذِبَا
قَالَتْ: أَرَى (فَوْدِيَّةَ) قَدْ نَوَّرَا	دُعَابَةً تُوجِبُ أَنْ أَدْعَبَا

(١) في فتح الطيب ج ١ ص ٤٥٠.

قلت لها : ما باله... إنه قد يُنتجُ المهرُ كذا أمهبا
 فاستضحكت عجباً يَقُولِي لها وإنما قلتُ لِكَي تُعَجِّبَا
 قال : ولما فهمها - الترجمان - شعر « غزال » ضحكت، وأمرته بالخضاب ففدا عليها،
 وقد اختضب وقال :

بَكَرْتُ تُحَسِّنُ لِي سَوَادَ خِضَابِي فَكَأَنَّ ذَاكَ أَعَادَنِي لِشَبَابِي
 مَا الشَّيْبُ عِنْدِي وَالْخِضَابُ لَوَاصِفٍ إِلَّا كَشَمْسٍ جَلَّتْ بِضَابِ
 تَخْفَى قَلِيلًا ثُمَّ يُقْشَعُهَا الصَّبَا فَيَصِيرُ مَا سَتَرْتُ بِهِ لَذَهَابِ
 لَا تُنْكِرِي وَضَحَ الشَّيْبِ فَإِنَّمَا هُوَ زَهْرَةُ الْأَفْهَامِ وَالْأَلْبَابِ
 فَلَدَى مَا تَهْوِينَ مِنْ زَهْوِ الصَّبَا وَطَلَاوَةِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ

غرام أم جنون :

من الشعر الرائق ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان وقد كان يهيم بوصف
 محبوبته ، ولم يعين لها اسماً - حتى لا يشهر بها في التشبيب ، ولكيلا يعرفها عند العام ،
 إلا لمن لس ودادها من الخاص ، وفي الأبيات التي يناجيها بها معانٍ قد جمع فيها حسن التعبير ،
 سحراً حللاً . وكان عفيفاً في دقة نظمه ، وصفاء تعبيره ، فقال :

تَمَكَّنَ مِنِّي السَّقَمُ حَتَّى كَأَنِّي تَوَهُمُ مَعْنَى فِي خَفِيِّ سُؤَالِ
 وَلَوْ سَأَحَتُ عَيْنَاهُ عَيْنِي فِي الْكَرَى لِأَشْكَلَ مِنْ طَيْفِ الْخِيَالِ خِيَالِي
 سَمِعْتُ بُرُوحِي وَهِيَ عِنْدِي عَزِيزَةٌ وَجُدْتُ بِقَلْبِي وَهُوَ عِنْدِي غَالِي
 وَقَدْ خِفْتُ أَنْ تَقْضَى عَلَيَّ مَنِيَّتِي وَلَمْ أَقِصْ أَوْطَارِي يَوْمَ وَصَالِ
 وَهَوْنٍ مَا لَقِيَ مِنَ الْوَجْدِ أَنَّهُ صَدُودٌ دَلَالٍ لِاصْدُودِ مَلَالِ
 فَلَوْ كَانَ ذَاكَ الصَّدُّ مِنْهُ مَلَالَةٌ شَدَدْتُ عَنِ الدُّنْيَا مَطْيَ رَحَالِي

ثمّ ما لبث أن استرسل في مواجيدته ، واستلهم مشاعر أناشيده . فقال :

ما بالُ قلبك يستبين أبه غرامُ أم جنوب
 برّح الخفاء بما تجنّ فأذهب الشكّ اليقين
 حتّى مشى بين الجوا نخ والضلوع هوى ذفين
 وإلى متى قلبُ المتّسم في يدِ البلوى رهين
 شخصّصت له فيك العيو ن وقُسمت فيك الظنون
 وسلّبت ألبابَ الورى بلواظفٍ فيها فتون
 وقوامُ أغصان اليا ض وأين تدركك الغصون
 الحسنُ في الأغصان فنّ وهو في هذا فنون
 من أين للأغصان ذا لك الحسنُ والسحرُ المين ؟
 أم ذلك الوردُ الجنيّ بخدمِ والياسمين ؟

سلعوس وسلعسة^(١) :

قال إبراهيم بن المهديّ : كنت يوماً بحضرة المأمون ، فقالت لي « عريب » على سبيل
 العبث : يأسلعوس . فقلت :

أما لعريب أن ترى غير سلّعسة فكوني كما أنت ، تكوني كمؤنسة
 فقال المأمون على الفور :

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هُنالك شكّ أن ذلك وسوسة
 قال إبراهيم : فعجبت من فطنة المأمون . وقلت :
 كذا - والله - يأمر المؤمنين قدّرت ، وإيّاها أردت !

(١) في إرشاد الأديب ج ١ ص ١٦٣ .

عائكة بنت معاوية :

حدثني الكُراني قال : حدثني العمري عن الهيثم بن عديّ - قال : حدثنا صالح
ابن حسان - قال : وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان - قال : حدثني محمد
ابن عمر - قال : حدثني محمد بن السريّ - قال : حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد ،
واللفظ لصالح بن حسان ، وخبره أتم . قال : حجّت عائكة بنت معاوية بن أبي سفيان -
فزلت من مكة بذي طوى ، فبينما هي ذات يوم جالسة وقد اشتدّ الحرّ واقطع الطريق ،
وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرت جوارها فرفعن السّتر وهي جالسة في مجلسها ، عليها
شفوف لها ، تنظر إلى الطريق ، إذ مرّ بها أبو دهيل الجمحيّ - وكان من أجمل الناس
وأحسنهم منظرًا . فوقف طويلًا ينظر إليها وإلى جمالها ، وهي غافلة عنه ، فلما فطنت له
سترت وجهها ، وأمرت بطرح السّتر . وشمته ، فقال أبو دهيل :

إني دعاني الحين فافتادني حتى رأيت الطّيّ الباب
يا حسنه إذ سبني مدبرًا مستترًا عني بجلباب
سبحان من أوقعها حسرة صبت على القلب بأوصاب
يدود عنها إن تطلبنها أب لها ليس يوهاب
أحلها قصرًا منيع الذرى يحمي أبواب وحجاب

وقال أيضًا :

طال كيلى وبث كالمخزون وملت النواء في جيرون
وأطلت المقام بالشام حتى ظن أهلي مرجمات الظنون
فبكت خشية التفرق جمل كبكاء القرين إثر القرين
وهي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبها لم تجد لها في سناء من الكارم دون
ثم خاصرتها إلى القبة الخض وراء تمشى في مرمي مسنون

قُبَّةٌ مِنْ مَرَايِلِ ضَرَبُوهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونٍ
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا بَ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلُ سُقْمِي وَتَقَلَّبْتُ لَيْلَاتِي فِي فُنُونٍ
كَيْتَ شِمْرِي أَمِنْ هَوًى طَارَ نَوَى أَمْ بَرَانِي الْبَارِي قَصِيرَ الْجُنُونِ

وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح :

قال ابن بُسَّام^(١) : كان الْمُتَعَصِّمُ بْنُ صَمَادِحٍ ، يوماً مع ندمائه . فَأَبْرَزَ لَهُمْ وَصِيفَةَ مَهْدَوِيَّةٍ مُتَصَرِّفَةً فِي أَنْوَاعِ اللَّعِبِ الْمَطْرُبِ مِنَ الدَّكِّ . وَحَضَرَ أَيْضاً هُنَاكَ لَاعِبٌ مِصْرِيٌّ سَاحِرٌ ، فَكَانَ لَعِبُهُ حَسَنًا ، فَارْتَجَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْحَدَّادِ :

كَذَا فَلْتَلُحْ قَمَرًا زَاهِرًا وَتَجْنِي الْهَوَى نَاضِرًا
وَسَيِّبُكَ سَيْبُ نَدَى مُنْعِدٍ أَقَامَ لَنَا هَامِيًا هَامِرًا
وَبَانَ لِيَوْمِكَ ذَا رَوْنَقٍ مُنِيرًا كَنُورِ الضُّحَى بَاهِرًا
صَبَاحَ اصْطَبَحْنَا بِإِسْفَارِهِ لَحْظَنَا مُحْيَا الْعَلَا سَافِرًا
وَأُطْلِمَتْ فِيهِ نَجُومَ الْكُؤُوسِ فَمَا زَالَ كَوَكْبُهَا زَاهِرًا
وَأَسْمَعْتَنَا لَاحِنًا فَاتِنًا وَأَحْضَرْتَنَا لَاعِبًا سَاحِرًا
وَتَنَاهَ ثَابِ لَالَمَائِهِ دَقَائِقُ تَنَنِي الْحِجَا حَاطِرًا
وَفِي سَوْرَةِ الرَّاحِ مِنْ سِحْرِهِ خَوَاطِرُ ، دَلَّهَتْ الْخَاطِرَا
إِذَا وَرَدَ الْلَحْظُ أَثْنَاءَهَا فَمَا الْوَهْمُ عَنْ وَرْدِهَا صَادِرًا
وَمِنْ حَسَنِ دَهْرِكَ إِبْدَاعِهِ فَمَا انْفَكَّ عَارِضُهَا مَاطِرًا
وَسَعْدُكَ يَجْتَلِبُ الْمَغْرِيَاتِ فَيَجْعَلُ غَائِبَهَا حَاضِرًا

وصف جارية المنذر إلى أنوشروان :

أهدى المنذر الأكبر^(١) إلى أنوشروان ، جارية كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمّر النسائي ، وكتب إلى أنوشروان يصفها فقال :

إني قد وجهتُ إلى الملك جاريةً مُعتدلة الخلقِ ، تقيّة اللونِ والثغر ، بيضاءَ قمرًا ، وطفاءَ كحلًا ، دَعَجَاءَ عَيْنًا ، قَنَوَاءَ شَمَاءَ ، بَرَجَاءَ زَجَاءَ ، أَسِيلَةَ الْخَدِّ ، شَهِيَّةَ الْمُقْبَلِ ، جَثَلَةَ الشَّعْرِ ، عَظِيمَةَ الْهَامَةِ ، بَعِيدَةَ مَهْوَى الْقُرْطِ ، عَمِطَاءَ عَرِيضَةِ الصَّدْرِ ، كاعِبَ الثَدْيِ ، ضَخْمَةَ وَشَاشِ الْمِنْكَبِ وَالْعَضِدِ ، حَسَنَةَ الْمَعَصِمِ ، لَطِيفَةَ الْكَفِّ ، سَبْطَةَ الْبَنَانِ ، ضَامِرَةَ الْبَطْنِ ، خَمِيصَةَ الْخِصْرِ ، غَرَّتِي الْوِشَاحِ ، رَدَاخَ الْإِقْبَالِ ، رَابِيَةَ الْكَفْلِ ، لَفَاءَ الْفَخِذَيْنِ ، رِيَاءَ الرِّوَادِفِ ، ضَخْمَةَ الْمَاكَمَتَيْنِ ، مُفْعَمَةَ السَّاقِ ، مَشَبَعَةَ الْخُلْخَالِ ، لَطِيفَةَ الْكَعْبِ وَالْقَدَمِ ، قَطُوفَ النُّشَى ، مَكْسَالَ الضُّحَى ، بَصَّةَ الْمَتَجَرِّدِ . وهى سموع للسَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِخُنْسَاءٍ وَلَا سَفْمَاءَ ، دَقِيقَةَ الْأَنْفِ ، عَزِيزَةَ النَّفْسِ ، لَمْ تُغَدَّ فِي بُؤْسٍ ، رَزِينَةً حَلِيمَةً ، رَكِيئَةً ، كَرِيمَةَ الْخَالِ ، تَقْتَصِرُ عَلَى نَسَبِ أَيْمِهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَتَسْتَعْنِي بِفَصِيلَتِهَا دُونَ جُمَاعِ قَبِيلِهَا ، قَدْ أَحْكَمَتِهَا الْأُمُورُ فِي الْأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلُ الشَّرَفِ ، وَعَمَلَهَا عَمَلُ أَهْلِ الْحَاجَةِ ، صَنَاعَ الْكَفَّائِنِ ، قَطِيعَةَ اللِّسَانِ ، رَهْوَةَ الصَّوْتِ ، سَاكِئَةً ، تَزِينُ الْوَلَى ، وَتَشِينُ الْعَدُوَّ .

إِنْ أُرْدَمَهَا اشْتَبَهَتْ ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا انْتَهَتْ .

فارس عربى جميل :

حكى محمد بن إسحاق^(٢) قال : كنت مشغولاً بأخبار العرب وأشعارها وأذكر أنها من أغرب الأشعار . وأميل إلى ذكر أيام العرب ، وأحبُّ أن أسمعها وأجمعها ، فنزل علينا في بعض الأيام فتيان من بنى دُمْلَبَةَ ، فذهبتُ إليهم لأسمع من أشعارهم وأجمع من أخبارهم ،

(١) في العزيز المحلى ص ٧٦٢ .

(٢) في الأغاني ج ٢ ص ٢٩ .

فمرت بفناء خيمة ، وإذا غلام ما رأيت مثله قط حسناً وجمالاً . له ذؤابتان كأنهما السبح المنظوم ، تحت ذلك وجه كالقمر ليلة تمه . وعنده امرأة أحسن منه وأجمل ، وأكثر ما أسمع من كلامها (يا بُنى) ، وهو يبتسم لها وقد غلب عليه الحياء كأنه كاعب عذراء ، ولا يرد لها جواباً من الاستحياء . فاستحسنت ما رأيت منهما ، فدنوت من الخباء ، فبصرت المرأة بى . ثم قالت لى : يا حصرى ، ما حاجتك ؟ . فقلت : لاجبة لى إلا الذى استحسنت منك ومن هذا الغلام . فقالت : أتحب أن أسمعك شيئاً من خبره ، وهو خير لك من نظره ؟ . فقلت لها : هاتى لله در أبيك . فقالت لى : إنى حملته تسعة أشهر ، فكُنّا فى عيش ضنك كدير ، ورزق نزر حقيق ، حتى إذا شاء الله أن أضعه ، فوضعتة - بحمد الله خلقاً سيوياً ، فلا وأبيك ما هو إلا أن وضعتة حتى من الله علينا ، وأجزل وسهل وتفضل ، يمين وجهه وسعادة طلعتة . فسميتُه (مالكاً) ثم أرضعتة حوّلين كاملين . فلما استتم الرضاع ، نقلته من المهد بينى وبين أبيه ، فنشأ بيننا كأنه شبل أسد ، نقيه برد الشتاء وحر الصيف . فلما مرّ عليه خمسة أعوام ، دفعته إلى مؤدّب يعلمه القرآن ، فقرأه وتلاه ، ونظم الشعر ورواه ، حتى أتم سبع عشرة سنة ، فأركبته عتاق الخيل ففهرس ، وحمل السلاح ففهرس ، ومشى بين بيوت الحى ، وأصغى إلى صوت الصارخ ، وأنا خائفة عليه وجلة مشقة من الألسنة أن تشينه ، ومن الأخطا أن تعينه ، حتى شاء الله أن تصيبنا سنون أجذبت بلادنا ، وكاد يهلك كبارنا وأطفالنا ، فخرجنا إلى مناهل غير مناهلنا ، ونزلنا فى غير منازلنا ، فخرج أصحابنا لطلب ثأرهم ، وخلفه عن الركب معهم وجع أصابه ، فلا وأبيك ما علمنا حتى دهمتنا الخيل من العدو ، ولم يتولنا عقل ، ولا هدونا . فا كان إلا هنيئة حتى حازوا على الأموال ، وانهزم الرّجال ، وهو فى البيت يسألنى عن الصوت ، وأنا أكايمه خيفة عليه . حتى علت الأصوات ، وبرزت الخجبات . فلما سمع ذلك ثار كما يثور الليث النضب ، وأسرج فرسه ، ثم أفرغ عليه لامة حر به ، وتقلد سيفه ، واعتقل رُمحه . ثم لحق العدو ،

فطعن أدنى فارس منهم فأرداه قتيلاً ، فرجعوا إليه ، فأوه ولدًا لطيفاً ، صبيّاً ظريفاً ،
فمطفؤا عليه . . . وتلقاهم ضرباً بالسيف ، وطعنًا بالرُمح ، حتى هلك أكثرهم
وفرّ الباقيون !

غنيّة : شحاذة :

لو كان بالصبر الجليل ملاذهُ	ماسح وابل دمه ورذادهُ
ما زال جيشُ الحبّ يغزو قلبهُ	حتى وهى وتقطعت أفلادهُ
لم يبق فيه من الغرام بقيّة	إلا رسيسٌ محتويه جدادهُ
من كان يرغب في السلامة فليكنْ	أبدًا من الحدقِ المراضِ عيادهُ
لا تخدعنك بالفتور فإنه	نظرٌ يضرب قلبك استلذادهُ
يا أيّها الرّشأ الذي من طرفه	سهمٌ إلى حبّ القلوب نفاذهُ
دُرّ يابح بفيك : من نظامهُ ؟	خمرٌ يحولُ عليه : من نبادهُ
وقناة ذاك القدّ : كيف تقومت ؟	وسنانُ ذاك اللحظ : ما فولادهُ ؟
رفقًا بجسمك لا يذوبُ فإننى	أخشى بأنّ يحفُو عليه لآذهُ
هاروتُ يمجزُ من مواقع سحرِهِ	وهو الإمام ، فن ترى أستاذهُ
تالله ما علقت محاسنك امرأ	إلا وعزّ على الورى استنقاذهُ
أغريتُ حبك بالقلوب فأذعنت	طوعاً وقد أودى بها استجوادهُ
مالى أتيتُ الحظّ من أبوابِهِ	جهدى ، فدام تقوره ولوادهُ
إياك من طمع المنى ، فعزّزه	كذليله ، وغنيّة : شحاذهُ

العيون

لأعذب العين :

قال الشاعر^(١) ابن الصّفى يصف العيون :

هى التى توقّع القلب فى التعب ، وتوفر نصيبه من أسهم الممّ والنّصب ، وترميه بدواى
المهوان ودواى الهوى ، وتسلمه إلى مكيدة الغرام ومكابدة الجوى ، لوعُذبتُ بطول السّهر
وكثرة الدّموع وبفيض الشّئون وعدم المهجوع ، وبمسامرة الأحزان والفكر ، وبمراقبة
النجوم إلى السّحر ، وبعدم الإغفاء وطول السّهر - لكان استحقاقها وجودَ جود الدمع وإن
طامأ ، وعدم منال المنام وإن تما :

لأعذب العينَ غيرَ مُفكّرٍ فيما جرتُ بالدمعِ أو سالتُ دما
ولأهجرنّ من الرّقادِ لذيذهُ حتى يعودَ على الجفونِ محرّما
هى أوقمتنى فى حائلٍ فتنيةٍ لو لم تكنْ نظرتُ لكنتُ مُسلّما
سفكتُ دمي فلا سَفَحَنّ دموعها وهى التى بدأتُ وكانتُ أظلمّا

ولعلّ موجب هذه الواعظة ، والألفاظ التى هى بالتحذير لافظة أنى خرجت فى بعض الأيام
متفرّجاً وسارحاً ، وجائلاً بطرفى فى الرياض وسائحاً ، وصحبى صديق لى فى المحبة صادق ،
ورفيق لى فيما أروم موافق ، قد ملك كلّ حسنٍ ولطافة ، وجمع كلّ حذقٍ وظرافة ،
ينصبّ لخدمتي لا يملّ ولا يسأم ، ويتعب فى مرّضاتي لا يكلّ ولا يندم ، ويجتهد فى موافقتى
لا يئس ولا يئس ، ويحسن مرافقتى لا يندم ولا يندم ، قد اتخذته جُهيّنة أخبارى ، وكنزاً
لخزائن أسرارى ، لا أستطيع مفارقة وجهه الجميل ، وهو عندى كما قيل :

بروحىَ مَنْ لا أستطيعُ فراقه ومن هو أوفى من أخى وشقيقى
إذا غاب عني لم أزل متلفّئاً أدورُ بعينى نحو كلّ طريقٍ

(١) فى لوعة الشاكى ودمعة الباكي .

معاني لفظ العين :

للعلامة أحمد السجاعي - المتوفى سنة ١١٩٧ هـ - قصيدة رائعة في معاني لفظ العين ،
وهي في فنّها غريبةٌ - قد احتوت على معاني في لفظ (عين) . وقد جعل حروف اسمه في أوائل
أبياتها بالترتيب . وهذه هي القصيدة كما نُقلت من خطّ الشيخ مصطفى البدرى في كراسة
« مجموعة لنوية » :

وقد وضعنا^(١) تفسير كل لفظ عين فيها بين (قوسين) بعده :

أيا ظنّي الفلّا وكحيلَ عَيْنٍ ويا بدرَ الدّجى وضياءِ عين
(الشمس)

حُميتَ من المكارِه ياغزالا حوى كلّ الكالِ بدون عين
(العيب)

ملكْتَ القلبَ منى يا حبيبي وحقّ المصطفى الجريّ لعَيْنِ
(الماء)

دعانا للهداية نِعِم طه رسولٌ قد أبانَ لطُرُقِ عَيْنِ
(حقيقة القبلّة)

أمينُ سيّدٌ ما فيه شكُّ به تُهدى الأنام بكلّ عَيْنِ
(الناحية)

له ذاتٌ خلتَ من كلّ سوء وقلبٌ قد خلا من شَيْنِ عَيْنِ
(الرّياء)

سما فوقَ السّماءِ ونالَ قُرْباً وخطبَ ربّه وحظى بعَيْنِ
(النظر)

جميلُ النّفسِ والأفعالِ قطعاً صفيّ خالصٌ من قُبْحِ عَيْنِ
(الميل)

(١) وضع تفسير كل لفظ عين بين (قوسين) المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا وذلك بالمداد الأحمر .

أَذَاعَ الْخَيْرَ فِينَا كُلَّ وَقْتٍ	وَعَوَّذَ أُمَّةً مِنْ شَرِّ عَيْنٍ
	(إصابة العين)
عَلَا رَتَبًا فَلَيْسَ لَهَا انْتِهَاءٌ	وَأُظْهِرَ دِينَهُ نَخِيارَ عَيْنٍ
	(الجماعة)
يُعِيقُ شَرِيعَةَ غُرَّاءَ فِينَا	بِهَا... كَمْ قَدْ هَدَى مِنْ كُلِّ عَيْنٍ
	(الإنسان)
رَوْوْفٌ بِالْعِبَادِ رَحِيمٌ قَلْبٍ	عَظِيمُ الْقَدْرِ سَيِّدُ كُلِّ عَيْنٍ
	(الكبير)
كَرِيمٌ مُنْتَقَى ، بِحَرِّ الْمَطَايَا	فَكَمَّ مَنَحَ الْأَنَامِ جَزِيلَ عَيْنٍ
	(المال)
عَظِيمٌ مُجْتَبَى قَدْ ظَلَلَتْهُ	لَدَى حَرِّ عِظَائِمٍ كُلِّ عَيْنٍ
	(السحاب)
خَلِيلُ اللَّهِ أَحْمَدُ ذُو كَمَالٍ	مَجِيرُ النَّاسِ مِنْ لَحْظِ بَعَيْنٍ
	(المطر)
رَحِيمٌ بِالْعِبَادِ سَرِيعٌ بَأْسٍ	عَلَى قَوْمٍ لَثَامٍ مِثْلَ عَيْنٍ
	(الطائر)
كَبِيرُ الْقَدْرِ فِي الدَّارَيْنِ حَقًّا	مُنْعِثُ النَّاسِ مِنْ حَرِّ لَعِينٍ
	(شعاع الشمس)
رَسُولُ اللَّهِ أَنْتَ لَنَا مَلَاذٌ	لَنَا فِيكَ الرَّجَا يَنْسَلُ عَيْنٍ
	(الخيار)
فَكَمْ صَرَفَتْ عَنَّا مِنْ كُرُوبٍ	بَدُنِيَا ثُمَّ أُخْرَى عَمْدَ عَيْنٍ
	(الجد واليقين)
وَخَلَقْتَ مَبْدَأُ الْأَشْيَاءِ حَقًّا	حَبِيبِي أَنْتَ أَوَّلُ كُلِّ عَيْنٍ
	(الشيء)

عليك الله صلى مع سلام أصولك مثل ذا من هم كعين
(الذهب)
وآل ثم أصحاب جميعاً فهم بذلوا لدين كل عين
(الدنيا أو النفس)
وكم قضبوا بسيف الله رأساً من الأعداء . وكم قهروا لعين
(الشديد)
وكم أحيا بهم ربى علوماً مغيبية ومنها ذات عين
(الحضور)
كذا أتباعهم ما قال عبد : أيا ظي الفلا وكيل عين
(الباصرة)

وصف العين وأسماء أجزائها :

في أول كتاب « سحر الميون » : الباب الخامس في وصف العين وأسماء أجزائها
وعيوبها الخلقية وغيرها . قال المؤلف :

اعلم يا نور الأعيان ، وأعز من إنسان عيون الأجفان ، أن - (مقلة العين) في اللغة هي :
الشحمة التي تجمع السواد والبياض ، سُميت بذلك من قولهم : مقلت الرجل في الماء :
إذا غوصته فيه ، وتماقل الرجل في الماء : إذا غاص فيه ، وتماقل الرجلان في الماء : إذا تناوصا
فيه ليُعلم أيهما أصبر على النوص ، فلما كانت - حبة العين غائصة في مائها سُميت : المقلة ،
ويقال : ما مقلت عيني مثل فلان : أي : ما نظرت ، قال الشيخ شهاب الدين أحمد الحاجي :
لها عينٌ لهما غزلٌ وغزلٌ مكحلةٌ . ولي عينٌ تباكت
وحاكت في فعيلها المواضي فيالك مقلةً غزأت وحاكت
(الحدقة) . هي السواد الأعظم (في العين) سُميت بذلك لأن البياض مُحْدَقٌ بها ،

ويقالُ : أَحَدَقَ الْقَوْمُ بِهِ وَحَدَقُوا بِهِ - لَتَان - أَيْ : أَطَافُوا بِهِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ .
وقال الشريف الرضي :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لَا تَفِيقُ وَقَدْ رَأَتْ عَيْنَاكَ كَيْفَ مَصَارِعُ الْعُشَّاقِ ؟
فَتَكْتَبِكُ بِكَ الْحَدَقُ الْمَرَّاضُ وَلَمْ تَزَلْ تُشْجِي الْقَاوِبَ جَنَائِيهِ الْأَحْدَاقِ

و (الناظرُ) : السَّوَادُ الْأَصْغَرُ الَّذِي يُبْصِرُ فِيهِ الرَّائِي شَخْصَهُ ، وَالْمَرْبُ تَقُولُ : هُوَ مِثْلُهَا ، وَإِنْسَانُهَا ، وَدَوَابُّهَا ، وَنَاطِرُهَا ، وَبَصَرُهَا ، وَضِيئُهَا ، وَغَيْرُهَا وَلُغَبُهَا ، وَبُؤْبُؤُهَا ، وَتَمَثُلُهَا ، وَسَوَادُهَا ، وَحُبُّهَا ، وَمَذَلُّهَا .

قال ابن مطرفٍ : وهذه الأسماء كلها لموضع البصر الذي في حاسة البصر ، والجمعُ : نَوَاطِرُ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَى الرَّائِي صُورَةَ نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ لَصِفَائِهِ ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَى صِحَّةِ الْحَاسَةِ بِمَا تَخَيَّلَ فِيهِ .

و (الناظران) - أَيْضاً : عِرْقَانِ فِي الْعَيْنِ يَسْقِيَانِ الْأَنْفَ ، يُقَالُ إِنَّهُ لَمُرْتَفَعُ النَّاطِرَيْنِ ، وَيُقَالُ لِلَّذِي اسْتَحْيَى مِنْ أَمْرِ : خَفَضَ لَهُ نَاطِرِيهِ ، وَالنَّاطِرُ يَجْمَعُ عَلَى : نَوَاطِرُ . قال شارح كتاب الفصيح : نَظَرْتُ لِعَيْنِي وَنَظَرْتُ : انْتَهَظْتُ وَتَنَظَّرْتُ .

و (نظرتُ) بمعنى : رَحِمْتُ وَتَفَكَّرْتُ . وَأَنْظَرْتُ الرَّجُلَ : أَخَّرْتُهُ ، وَأَنْظَرْتُهُ : جَعَلْتُهُ يَنْتَظِرُنِي ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (انظرونا) أَيْ : أَمْهَلُونَا : قال الشيخ برهان الدين القيراطي :

يَا قَاتِلِي بَنَوَاطِرِي أَجْفَانُهَا بِسُيُوفِهَا الْأَمْثَالُ فِينَا تُضْرَبُ
قُلُوبُ الْغَزَالِ أَوْ الْغَزَالَةِ إِذْ رَنَتْ أَوْ لَاحَ يَهْرَبُ ذَا ، وَتِلْكَ تَغِيَّبُ

و (الجماليتُ) : هِيَ بَوَاطِنُ الْأَجْفَانِ ، وَاحِدُهَا حِمْلَقٌ - قال ابن مطرفٍ : هِيَ الَّتِي تَرَاهَا - إِذَا قَلِبْتَ لِلْكُحْلِ - حِمْرَةً . وقال الزَّيْبُدِيُّ : الْجَمَالِيْتُ : نَوَاحِي الْعَيْنِ ، وَيُقَالُ لِمُؤَخَّرَى الْعَيْنَيْنِ مِمَّا بَلَى الشَّدَقَتَيْنِ : الْحَقِيمَانِ ، الْوَاحِدُ حَقِيمٌ . وَالْأَشْفَارُ هِيَ حُرُوفُ الْأَجْفَانِ الَّتِي يَنْبْتُ عَلَيْهَا الشَّعْرُ ، وَالوَاحِدُ : شَفْرٌ ، وَمِنْهُ شَفِيرُ الْوَادِي ، وَشَفِيرُ كُلِّ شَيْءٍ حَرَفُهُ .

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

إِذَا كَانَ شَفْرُ الْعَيْنِ فَوْقَ مَحَلِّهَا فَعِنْدِي أَنَا الْأَشْفَارُ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْنِ

و (الأهدابُ) : الشعرُ النابت عليها ، واحدها : هُدْبٌ - بضمّ الهاء وسكون الدال المهمله ، قال الشيخ برهان الدين :

أهدابٌ لَحِظْتُكَ للورى شركَ فَنَ أَوْهَمْتَهُ فَيَهِنٌ لَا يَتَفَلَّتُ
كَيْفَ النِّجَاةُ وَرُمِحُ قَدَّكَ مُشْرَعٌ؟ كَيْفَ الْخِلَاصُ وَسَيْفُ لَحِظِكَ مُصَلَّتٌ؟

و (المحجّرُ) : ما دار بالعين ، وهو ما يبدو من البرقع والنقاب ، وجمعها محاجرٌ ، ويقالُ : مَحْجَرٌ - بفتح الميم وكسرهما ، وفتح الجيم وكسرهما أيضاً ، وإنما سُمِّيَ المحجر محجراً لأنه مفعول من المحجر وهو النزع ، فكأنه مانعٌ عن العين من جميع جهاتها ، ومعهُ الحجرة المحيطة بالجدر ، والجمعُ : المحجرات .

قال الأمير سيف الدين المشد وأجاد :

إِنَّ الْعِيُونَ لَكَ الْحَصُونُ : قَهْدُهَا شُرْفَاتُهَا ، وَجُفُونُهَا الْأَسْوَارُ
وَكَذَا مَحْجَرُهَا : الْخَنَادِقُ حَوْلَهَا وَالْحَافِظُونَ بِهَا هُمُ الْأَنْوَارُ

و (المائق) و (الموق) : هو طرفُ العينِ مما يلي الأنفَ ، وهو مخرجُ الدمع من العينِ ، ولكلّ عينٍ موقانٌ ، وفي الموقِ وفي جمعه لغاتٌ كثيرةٌ يقالُ : مَاقٌ - بالهمز ، وجمعه آماق ، وموقٌ - غير مهموزٍ ، وجمعه أمواقٌ وأماقٍ ومَاقٍ . والمقيةُ - لغةٌ في المائق أيضاً ، والجمع مُقَى . والمائقُ : مقدمها . وقيلَ : الموقُ مؤخرُ العينِ ، ومَاقٍ يُجمع على مَواقٍ مثلُ قاضٍ وقَواضٍ . وفي الحديث : « كَانَ يَكْتَحِلُ مِنْ قَبْلِ مَوْقِهِ مَرَّةً وَمِنْ قَبْلِ مَاقِهِ أُخْرَى » . قال المتنبي يمدحُ كافور الأَخشيديّ :

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ وَرَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِقَا
فَجَاءَتْ بِهِ إِنْسَانٌ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَ (أَمَاقِيَا)

و (الألحاظُ) : جمعُ لحظٍ ، وهو مؤخرُ العينِ الذي يلي الصدغَ وجمْعُها لحاظٌ ، ولواحظُ . فأما اللحظةُ فهي النظرةُ وجمعها : لحظاتٌ في القليل ، واللحظ في الكثير ، ويجوز أن يجعل موضعَ اللحظة . يقالُ : لحظَ العين - مثل رأى العين ويقال : لحظَ السماء بطرفه يلحظ لحظةً فهو لاحظ .

قال شيخ الشيوخ الأنصارى بحماسة :

يا نظرةً قد جأت لي حُسنَ طامته حتى انقضت وأدامتنا على وجَلٍ
عابتُ إنسان عيني في تسرُّعه فقال لي : خُلِقَ الإنسانُ مِنْ عَجَلٍ
(والطرف) : هو مآلٌ بأحد السَّوادين : السَّوادِ الأعظم ، والسَّوادِ الأصغر . قال ابنُ مطرف :
« طرفُ العينِ تحركُ أشفارها » ويقال : طرفُةُ عينٍ ، والعينُ المطروفةُ منه مأخوذةٌ ، وهو
أن يُصيب سوادها شيءٌ فيتأذى صاحبُها به ، وربما أبطلها . وهى « الطرفُةُ » قال الشيخ
علاء الدين الوداعى :

كم دماءٍ مطلولَةٍ في هواه وبها وردُ خدِّه مطلولُ
وحديثٍ من السقام صحيح قد رواه عن طرفه مكحولُ
و (القبلُ) هو ميلُ الحديقة في النظر إلى الأنف . وأنشد الثعالبي وقد استحسنه
في « فقه اللغة » له — قولُ ذى الرِّمة :

أشهى في الطفلة القبلا لا كثيرا يشبه الحولا

وقال جرير :

وما زالت القتلى تمجّ دماءها بدجلة حتى ماء دجلة (أشكلُ)

وقول علاء الدين البديوى :

أنا جدُّ أنصار النبی لأننى يا أزرق العینین عبْدُ (الأشهلِ)
وأنشدنى المولى أبو الفتح محمد الرسام الأزهرى :

رنت رمت فأصابت قلبي ، وأذكت لهيبه
فهو المصاب بعين (شهلاء) وهى المصيبة

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وأغيد كلُّ شيءٍ فيه يعجبني كأنما هو مخلوقٌ على شَرطي
أجفائه السود ما تخطى إذا رشقت سهامها ، وسهامُ اللَّيلِ ما تخطى

وقال علاء الدين الوداعي :

رمتني سودُ عينيهِ فَأَصْمَتْنِي ، ولم تُبْطِي
وما في ذاك من يدعٍ سِهامُ الليل ما تُخْطِي

وقال شهاب الدين الزعفريني :

ملكٌ على العشاق ، سكرانٌ طَرَفُهُ
شكوتٌ إليه أَسْرَ قلبي في الهوى
فوقَّع لي : سِحرُ الجفون يُخَلِّدُ

وقال بشار بن برد :

يا من برايق ريقه يحجي الوري
من سِحر عينيكَ المِهاة تعلَّمتُ
وبسحر عينيهِ النَّواعس تُقْبَلُ
وكذلك التزلانُ منها تنزِلُ

وقال ابن عباد :

ونظرن من خللِ السُّتورِ بأعينٍ
مرضى يُجَالِطُهَا السَّقَامُ صحاح
وله أيضاً :

وسنانٌ قد خدع النَّعَّاسُ جُفُونَهُ
مذ غَضَّ طرفاً بالحِياءِ فَإِنِّي
فحكي بمقلته ذُبُولُ النَّرجِسِ
منه استحييتُ بأنْ أَقْبِلَ مؤنسى

وقال الغزَّيُّ :

كأنا سوادُ عيني مُنيتي
لا تُنْكِرُوا مقالتى تجاهلاً
كمنبرٍ يا أنفَسَا لَوَّامَةٍ
معِ عِلْمِكُمْ بأنَّها لَوَّامَةٌ

وقال الشهاب بن القطان :

شافني (ماسُ) فَوَلِي
وابتنى التَّعْرِيضَ ، قُلْنَا :
زهرُهُ حاكِي عُيُونِكَ
لَعَنَ اللهُ قرونَكَ

آفة النظر وغائله :

وكنفت إذا أرسلت طرفك زائراً
رأيت الذى لا كآه أنت قادر
ولأبى العباس الصيغى :

قم فاسقنى بين خفق الغاي والمود
كأساً إذا أبصرت فى القوم محتشماً
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا
وله أيضاً :

يقرّ الله عينك يا جفونى
ويا عيني لك البشرى فنأى
رغبت عن الهوى وهربت منه
وله أيضاً :

سقتنى لتروى الراح روحاً وحققت
على زجس حيّ به فكأنتها
وله أيضاً :

إذا ضاق صدرى وخفت المدا
فبالله نبلى ما نرتجى
وله أيضاً :

يغيب البدر يوماً ثم يبدو
إذا لم تطالع الإثنين عصراً
وله أيضاً :

ولقد مررت على الأطباء وصادنى
نقدت لواحظه إلى بأسهم
طبيّ وعمدى بالطباء تصاد
أغراضها الأرواح والأجساد

وله أيضا :

صبّ الداد وما تعمّد صبه فتورد الخد البديع الأزهري
يا من يؤثر حبره في ثوبنا تأثير لحظك في فؤادي أكثر

وله أيضا :

من شاء عيشاً رخياً يستفيد به في دينه ثمّ في دنياه إقبالا
فلينظرون إلى ما فوقه أدباً ولينظرون إلى من دونه مآلاً

وله أيضا :

أدرك بقيّة نفس روحها رفق وقد أذابت هموم النفس أكثرها
وإنما سلمت منها بقيّتها لأنها خفيت ضعفاً فلم ترها

وله أيضا :

ألا حل بي عجب عجب تقاصر وصفى عن كنهه
رأيت الهلال على وجه من رأيت الهلال على وجهه

وقال آخر في شوق إلى حبيب :

إن غبت عن ناظري فأنتم في القلب يا غاية التمتي
والظن أن لا تخون عهدي لا خيب الله فيك ظني

تعدد الزوجات والأزواج

هند وأبو سفيان^(١) :

كان مسافر بن عمرو بن أمية ، يهوى هنداً بنت عُثْبَةَ بن ربيعة ، وله فيها شعر ينشئ به . فلما فارقت زوجها الناكه بن المنبرة ، خطبها إلى أبيها ، فلم ترض ثروته وماله ، فوفد على « النعمان » يستعينه على أمره ، ثم عاد فكان أول من لقيه أبو سفيان ، وعلم منه أنه تزوج هنداً .

وكان مسافر من أحسن فتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاءً ، وقد عشق هنداً وعشيقته ، فاشبه بها . وقال بعض الرواة : إنها حملت منه ، فلما بان حملها أو كاد ، قالت له : اخرج . فخرج حتى أتى الحيرة ، وأقام عند عمرو بن هند ينادمه ، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ولقيه مسافر ، فسأله عن قريش ، فكان مما قال له أنه تزوج من هند بنت عتبة . فدخله من ذلك ما اعتلّ معه ، حتى استسقى بطنه .

وروى معروف بن خربوذ أن مسافراً قال في ذلك :

ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدنى حموتها حرمي
وأصبحت كالمقور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوساً وأسهما

حكمة التعدد في الإسلام^(٢) :

إنه لمعلوم أن جميع كلام النبوة شرح للقرآن . قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » وإذا تتبعنا القرآن العظيم لم نجد يذكّر المؤمنين إلا ومعهم المؤمنات ،

(٢) في كتاب علم الدين ج ١ لصاحبه على مبارك باشا .

(١) الأغاني ج ٨ .

ولا المسلمين إِلَّا ومعهم المسلمات ، ولا الصَّائِغِينَ إِلَّا ومعهم الصَّائِغَات . قال تعالى : « وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا » وقال تعالى : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . وقال تعالى : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِغِينَ وَالصَّائِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » هو الجنة وما فيها . وهكذا في غير ما آية .

ومن اطلع على موضع ذلك من المصحف الشريف ، فسيقف بنفسه على ما ذكر . فالكتاب والسنة والإجماع على أن للنساء ما للرجال من الثواب ، وعليهن ما عليهم من العقاب ، لافرق بين حرٍّ ورقيق ، ومولى وعتيق .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَيُّمَا امْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا خَفِظَتْ غَيْبَتَهُ فِي نَفْسِهَا ، وَطَرَحَتْ زِينَتَهَا ، وَقِيدَتْ رَجُلَهَا ، وَأَقَامَتِ الصَّلَاةَ ؛ فَإِنَّهَا تُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذْرَاءَ طِفْلةٍ ، فَإِنْ كَانَ زَوْجُهَا مُؤْمِنًا فَهُوَ زَوْجُهَا فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ زَوْجُهَا مُؤْمِنًا زَوَّجَهَا اللَّهُ مِنَ الشَّهَدَاءِ » . فكيف يتوهم ممن اتصف بالعدل فضلا عن اتصافه بالفضل ، أن يضئع عمل عامل ، أو يحرم الرأجي فضله الشامل ؟ .

وهنا تمرّض مستشرق إنكيزي في سياق حديث رواه المؤلف وقال : لو علمت نساء أوروبا بقولك لأحبين دين الإسلام ، لكن ربّما يمنهنّ شيء آخر أشقّ عليهنّ من كلّ شيء ، وأضرّ . . هو أخذ الرجل منكم عددًا من الزوجات .

وردّ على المستشرق بأنّه لا دخل لتعدد الزوجية ولا لدين النصرانية في إحياء العلوم الأدبية ولا تقدم الفنون والصنائع الدنيوية ، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الأوروبيون إلى اليونان ومن بعدهم من العرب في الوصول إلى ما وصلوا إليه ، فالعرب للأوروبيين في كلّ ما علّموه ملاذ ، واحتياجهم إليهم كاحتياج المتعلم إلى الأستاذ .

وأما ما كان من أمر تعدّد الزوجات فليس هذا خاصاً بالمسلمين؛ بل هو عام لهم ولغيرهم، ولم يمنعه إلا طائفة النصارى فقط، حتى إن من قبلهم كانوا يجوزون التعدّد أيضاً، فقد رأيت في بعض كتب التواريخ، نقلًا عن دانيال القسيس، أن ملوك فرنسا الأولين كانوا متزوجين بزوجات متعدّدات، مع أنهم كانوا متدينين بدين النصرانية. ومن ثمّ كان لكلّ من غنطران وشريبير وداغوير الأول ثلاث زوجات، ولهمّ داغوير، وهو فلودمير أربع زوجات في آنٍ واحدٍ .

وفي سنة سبعمائة وست وعشرين من الميлад، كتب البابا غريغور الثالث إلى الواعظ بدستقاس، حين أرسل إليه يسأله عن جواز التزوّج بامرأة ثانية: « إذا أصيبت المرأة الأولى بداء يمنّنها عن القيام بحقوق الزّوج، جاز له أن يتزوّج بامرأة أخرى، وعليه للمصابة مؤنّها الضرورية » .

ولعلّ الحكمة في إباحة تعدّد الزوجات عند المسلمين، وعند كلّ من كان على رأيهم، أن التدبير الإلهي لما ميز الرّجل بقوة البنية، وطول زمن التّناسل بالنسبة للمرأة، وسلامته من الأعذار المعتادة للنساء في أوقاتٍ معيّنة، كالحيض والنفاس، راعى الشرع جانبه لذلك .

وأما حكمة الأفراد التي عوّل عليها النّصارى، واستندوا إليها في الحكم فلا يمكن الجزم باطرادها في كلّ طبيعة، ولا بأنّها تقطع ما يخشونه من الفساد. فقد أتى زمن يمنع فيه كثير من الأمور الفظيعة التي لا وجود لها في بلادنا، كقتل الأطفال، وإسقاط الأجنة ونحو ذلك .

فقال المستشرق الإنكليزي: هذا كلام معقول، لكن نظرت في المصحف مرّةً، فرأيت في السورة الثالثة مظاهره الأمر بضرب النساء، مع أنه يُحِلُّ بشرف الإنسانية . فكان الجواب أن هذا لا يوجد إلا إذا علم الزّوجُ منها خلاف ما كان يَعهَدُ، على أنّه ليس له ذلك من أوّل الأمر، بل يستعمل معها النصيحة، فإن أبت فله أن يؤدّبها بالهجر، فإن لم يُجِدِ الهجر ضربها، بشرط ألا يضرّ بها، وألا يخرج على حُسن العشرة المأمور به

في القرآن ، الذي جعل التشديد عليهنّ مذموماً ، وصيّر من عاقبهنّ على كل ما فرط منهنّ ماوماً ، كقوله تعالى : « الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ » .
وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « احموا النساء على أخلاقهنّ » وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في بيته كالصبيّ ، فإذا طُلبَ ما عنده وَجِدَ رجلاً » .

وقال بعض الصحابة للنبيّ صلى الله عليه وسلم : « ما حقّ زوجة أحدنا عليه ؟ » قال : أن تُطْعِمَهَا إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تُقَبِّحَ ، ولا تهجر ، إلّا في البيت » . ومعنى لا تُقَبِّحَ : لا تسمعها المكروه ولا تشتمها أو لا تقل لها : قبحك الله ونحو ذلك .

وفي القرآن الكريم عدا ذلك كثيرٌ مما يعظم أمر النساء ويوجب رعايتهنّ والمبادرة إلى القيام بحقوقهنّ . وهل حرية النساء إلّا أن يبلنن حقوقهنّ على أزواجهنّ ، حسبما تقتضيه المروءة ، وصيانة النساء عن الدخول فيما ليس لهنّ من خصائص الرجال .
وليس فيما يقبل العقلُ النّزّهة عن المعصية أن تكون حرية النساء عبارة عن تخليتهنّ وما اشتبهنّ ، مع ما يشاهد في الأكثر من غلبة شهواتهنّ وأهوائهنّ على عقولهنّ .

المرأة التي تزوج عليها زوجها :

في « سبعة المرجان »^(١) أشعار عن غيرة المرأة التي يتزوج عليها زوجها ، منها قول ابن المعتز :

خبروها بأنني قد تزوّج مت فظلت تكاتم الغيظ سرّاً
ثم قالت لأختها - ، ولأخرى جزعاً : ليته تزوّجَ عشراً
وأشارت إلى نساء لديها لا ترى دونهنّ للسرّ سترّاً
مالقبي كأنه ليس مني وعظامي أخال فيهنّ فترا

(١) سبعة المرجان ص ٢٥٧ أشعار .

عدم زواج الرجل بمن يهواها :

معلوم أن العرب^(١) كانوا لا يزوجون الرجل بمن يهواها ، وكان يتحاشى السلام عليها لئلا يعرف بها .

قال أبو رياش : كان الرجل إذا عُرف بحبِّ امرأةٍ لم يزوّجوه إياها . وكان إذا سلّم عليها عُرف أنه يهواها ، وقد يسلم عليها وإن كان في السلام يأْس منها وهذا من إفراط شوقه وغلبة هواه .

رؤية الرجل المرأة عند تزوّجها^(٢) :

قال الأصمعي : الحُسْنُ في العينين ، والجمال في الأنف ، والملاحة في النعم .

وقالت امرأة خالد بن صفوان له : إنك لجميل يا أبا صفوان . فقال : كيف وليس عندي رداء الجمال ، ولا برئسه ولا عموده . إن رداءه البياض وأنا آدم ، وعموده الطول وأنا ربّعة ، وبرئسه سواد الشعر وأنا أشمط . ولكن قولي : إنك مليح ظريف .

وروى أن النبيّ - عليه الصلاة والسلام - خطب امرأة ، فأرسل عائشة - رضى الله عنها - لتنظر إليها ، فلما رجعت إليه قالت : ما رأيت طائلاً . فقال : بلى ، لقد رأيت خالاً في خدّها افشعرت منه كلّ شعرة في جسدك .

وقالت عائشة - رضى الله عنها - تصف شعورها حينما رأت جويرة بنت الضحّاك لأول مرة : والله ما هو إلّا أن رأيتها على باب حجرتي ، فكهرتها . وفي ذلك ما يدلّ على ما كان عليه أزواج النبيّ - صلى الله عليه وسلم - من النيرة عليه ، والعلم بموقع الجمال عنده . أما نظره - عليه الصلاة والسلام - إلى جويرة حتّى عرف من حسنّها ما عرف ، فذلك لأنّها كانت مملوكة ، لو كانت حرّة ما ملأ عينيه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء . وجاز أن يكون نظره إليها لأنّه نوى تزوّجها .

(١) التبريزي على الحماسة ج ١ . (٢) في الروض الأنف .

وروى أن امرأة قالت للنبي صلوات الله عليه : إني قد وهبت نفسي لك يا رسول الله .
فصعد فيها النظر ثم صوب ثم أنكبها من غيره .

وثبت عنه - عليه الصلاة والسلام - الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها .
وقال للمغيرة حين شاوره في نكاح امرأة : « لو نظرت إليها فإن ذلك أحرى أن يؤدم
بينكما » . وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح بئينة بنت الضحاك .
وقد أجازه مالك في إحدى الروايتين عنه . ذكرها ابن أبي زيد .

وفي مسند الزَّار : « لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزوجها وهي
لا تشعر » .

وفي تراجم البخاري في باب النظر إلى المرأة قبل التزويج أن النبي - عليه الصلاة
والسلام - قال لمائشة - رضى الله عنها : أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من
حرير ، فكشف عن وجهك ، فقال لي : هذه امرأتك . فقلت : إن يكن من عند الله
يُمنِّه ، وهذا استدلال حسن . وفي قوله : إن يكن من عند الله سؤال - لأن رؤياه وحى ،
فكيف يشك في أنها من عند الله . والجواب : أنه لم يشك في صحة الرؤيا ، ولكن
الرؤيا قد تكون على ظاهرها ، وقد تكون لمن هو نظير المرء أو سميه فنها هنا تطرق الشك
ما بين أن تكون على ظاهرها ، أو لها تأويل .

وسمعت شيخنا يقول في معنى هذا الحديث : لا يخلو نظره عليه الصلاة والسلام إليها
من أحد الأمرين ، أو يكون ذلك قبل أن يضرب الحجاب . وإلا فقد قال تعالى :
« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » .

والنبي - صلى الله عليه وسلم - هو بنير شكَّ إمامُ المتقين وقدوة الورعين . وجورية
هي بنت الضحاك بن أبي ضرار بن حبيب بن عائد . وتوفيت في شهر ربيع الأول سنة ست
وخمسين أو خمس وخمسين من الهجرة .

رايات من خمر النساء^(١):

وجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ... عتبة بن غزوان والياً على البصرة، وقال له: يا عتبة، إني قد استعملتك على أرض الهند، وهى حومة من حومات العدو، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها، ويعينك عليها. فإذا قدم عليك العدو، فاستشره، وادع إلى الله، فن أجابك فاقبل منه، ومن أبى فالجزية، وإلا فالسيف، واتق الله فيما وليت، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبير مما يفسد عليك إمرتك، وقد صحبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعزّت به بعد الذلة، وقويت به بعد الضعف، حتى صرت أميراً مسلطاً، ومليكاً مطاعاً، تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك، فيألفها من نعمة؛ فاحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، ولهي أخوفهما عندى عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطّة تصير بها إلى جهنم، أعيذك بالله ونفسى من ذلك. إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله ولا تريد الدنيا. واتق مصارع الظالمين. انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم، فأقيموا. فسار عتبة ومن معه، وأقام بالبصرة، ثم سار عتبة بالمسلمين إلى أن لقيهم جيش عظيم من الفرس، فاقتتل الفريقان.

وقال نساء المسلمين: لو لحقنا بهم فكنا معهم، فاتخذن من حُرهن رايات، وسرن إلى المسلمين؛ فلما رأى المشركون الرايات، ظنوا أن مدداً للمسلمين قد أقبل، فانهزموا، وظفر بهم المسلمون!

(١) فى «الكامل» لابن الأثير.

كشف وجه المرأة في الإحرام :

قالت عائشة - رضى الله عنها^(١) : لو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء ، لمنعن من المساجد .

وسئل عقیل - عن كشف المرأة وجهها في الإحرام ، مع كثرة الفساد في زمانه أهو أولى أم التغطية مع الفداء ؟ فأجاب : بأن الكشف شعار إحرامها ، ولا يجوز رفع حكم ثبت شرعاً لحوادث البدع .

وأما قول عائشة - رضى الله عنها - فإنها ردت الأمر إلى صاحبه فقالت : لو علم لمنع ، ولم تمنع هي .

وقد ندب الشرع إلى النظر إلى المرأة قبل النكاح ، وأجاز للشهود النظر . فليس يبدع أن يأمرها بالكشف ، ويأمر الرجال بالفضى ليكون أعظم للابتلاء .

وإنما جاء النص بالتهى عن النقاب خاصة ، كما جاء التهى عن القفازين ، وعن لبس القميص وال سراويل . ومعلوم أن نهيه عن لبس هذه الأشياء لم يرد أنها مكشوفة لا تستر البتة ، بل قد أجمع الناس على أن - المخرمة تستر بدنها بقميصها ودرعها ، وأن الرجل يستتر بدنه بالرداء وأسافلته بالإزار .

ومن قال : إن وجه المحرمة كراأس المحرم ، فليس معه بذلك نص . وقول من قال من السلف : إحرام المرأة في وجهها إنما أراد به أنه لا يلزمها اجتناب الناس كما يلزم الرجل ، بل يلزمها اجتناب النقاب ، فيكون وجهها كبदन الرجل .

وقد قالت عائشة - رضى الله عنها : كنا إذا مر بنا الرجل كبان سدت إحدانا جلبابها على وجهها . ولم تكن إحداهن تتخذ عوداً تجعله بين وجهها وبين الجلباب كما قال بعض الفقهاء ، ولا يعرف هذا من امرأة من نساء الصحابة ، ولا أمهات المؤمنين البتة ، لا عملاً ولا فتوى . ويستحيل أن يكون هذا من شعار الإحرام ، ولا يكون ظاهراً مشهوراً يعرفه الخاص والعام .

(١) في بدائع الفوائد .

ومن أثر الإنصافَ وسلكَ سَبِيلَ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ تَبَيَّنَ لِمَرَاكِجِ الْمَذَاهِبِ مِنْ مَرْجُوحِهَا،
وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

المرأة لعبة زوجها^(١) :

البيضة المكنونة^(٢) بيضة النعام، ويشبه بها النساء لبياضها ، والصُّفْرَةُ التي تضرب فيها.
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والمكنونة : المصونة ، والنعام تخفيها بريش ، ولا تُبدى للشمس والرياح لئلا تتغير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّ هُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » .

وعن عليّ بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبيّ صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .

والمداعبة : المازحة ، والمغازلة - تقول : غالزني المرأة : إذا تماجنت عليك في كلامها
وأشارت لك بعينها ، وغزتك بحاجبها حتّى إذا طمعت فيها صددت عنك . . . والمليحة
الصورة : المستماعة . كالدمى والصور التي تلعب بها البنات ونحوها .

مات زوجها فتزوجت ! :

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » اسمها « أم عقبة » كانت عند ابن عمّها لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبري بالذي تريدن بمدى والذي تضررين يا أمّ عَقْبَةَ
تَحْفَظِينَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِي لِمَا قَدْ كَانَ مِنِّي مِنْ حَسَنِ خُلُقٍ وَصُحْبَةٍ
أَمْ تَرِيدِينَ ذَا جَمَالٍ وَمَالٍ وَأَنَا فِي التُّرَابِ فِي سَجْنِ غُرْبَةٍ

(١) في خزانة الأدب للبغدادي . (٢) تكن رأسها : أى تخفيها كما هو مشهور عن النعام غالبا .

فقلت له : والله لأجيبك بكذب ، ولأجعلنه آخر حظي منك . وأنشدته :

قد سمعت الذي تقول وما قد يا ابن عمي تخاف من أم عَقْبَةٍ
سوف أبكيك ما حيتُ بنوحٍ ومراثٍ أقولها أو يَنْدَبَةٍ
فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بعد موت الأزواج ياخير من عو شر فارعى حتى لحسن الوفاء
إنني قد رجوت أن تحفظي العم د فكوني إن مت عند الرجاء
ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات . فلم تمكث بعده قليلاً حتى خطبت من كل جانب ،
رغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها ، فقلت بحبيبة لهم :

سأحفظ غساناً على بُعد داره وزعاه حتى نلتقي يوم نُخْشَرُ
وإني لفي شغل عن الناس كلهم فكفوا فما مثلي بمن مات يَمْدُرُ
سأبكي عليه ما حيت بدمة تجول على الخدين تهمل قهمرُ

فلما تناولت الأيام تناست عهده وقالت : من مات فقد فات .

فأجابت بعض خطابتها فمعد عليها . فلما كانت الليلة التي أراد الدخول بها أتاها آت

منامها فقال :

عقدت ولم ترعى لبعلك حرمةً ولم تعرفي حقاً ولم تحفظي العهدا
ولم تصبري حولاً حفاظاً لصاحب حلفت له بتاً ولم تنجزى الوعدا
غدرت به لما ثوى في ضريحه كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فلما سمعت هذه الأبيات ، انتبهت مرتاعة كأن غسان معها في جانب البيت ، وأنكر

أن من حضرها من نساءها ، فأنشدتهن الأبيات ، فأخذن معها في حديث لينسينها ما هي فيه ،

نفلهن وأخذت مدية ، فلم يدركنها حتى ذهبت نفسها . فقلت امرأة منهن :

لله درك ماذا لقيت من غسان
فقلت نفسك حزنًا يا خيرة النسوان

وفيت من بعد ماقد همت بالمصيان
وذو المال غفور لسقطة الإنسان
إنّ الوفاء من الله لم يزل بمكان

وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها المتوفى :

قالت امرأة حكية^(١) : كنت عند عائشة بنت طلحة يوماً ، فقيل لها : هذا الأمير قد جاء ، فتنجيت . ودخل عمر بن عبد الله زوجها فلما خرج من عندها ، رأيته وكأنا أوتى ملك سليمان .

ويقال : إن رملة بنت عبد الله ضرة عائشة هذه قالت لمولاة عائشة يوماً : أريني مولاتك مجردة وأنا أعطيك ألفي درهم . فذكرت الجارية ذلك لعائشة ، فقالت : أنا أتجرد لها ولا تعلمها أنى عرفت . ثم قامت عائشة فتجردت كأنها تفتسل . وذهبت مولاتها إلى رملة ضربتها فأخبرتها ، فأخبرت عليها وتأماتها مقبلة ومدبرة ؛ وأعطت الجارية ألفي درهم وقالت : وددت لو أنى أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها ، وذلك لما راعها من حسن جسدها والبض ، وتناسق جمال أعضائه المثيرة الفاتنة .

ولما مات عمر بن عبد الله زوج عائشة ندبته قائمة ، دلالة على أنها لا تزوج بعده . روى الأصفهاني في كتابه « الأغاني » أن عائكة بنت يزيد بن معاوية ، استأذنت زوجها عبد الملك في الحج ، فأذن لها وقال : ارفعى إلى حوائجك كلها ، واستظهرى فإن عائشة بنت طلحة تهجج معك ، فاستظهرت بكل ما تقدر عليه ، وخرجت بهيئة حسنة قد اجتهدت فيها . فلما كانت بين مكة والمدينة إذا ركبت قد جاء فضنطها وفرق جماعتها ، وكان هو ركبت عائشة بنت طلحة !

(١) روضة الأعيان للراجم ص ٤٣٨ .

القبلة وإياحتها^(١)

قالت طائفة من العلماء : القبلة مباحة لمن وصل إلى حد يخاف على نفسه من التلف في الحين قالوا : لأن تركها قد يؤدي إلى هلاك النفس ، والقبلة صغيرة ، وهلاك النفس كبيرة ، وإذا وقع الإنسان في مرضين داوى الأخطر ، ولاخطر أعظم من خطر النفس ، حتى أوجبوا على المحبوب مطاوعته على ذلك . إذا علم أن ترك ذلك يؤدي إلى إهلاكه . واحتجوا بقول الله تعالى : « الذين يحبون كِبائرَ الإثم والفواحش إلا اللِّم . . . » والحديث الذي يقول : يارسول الله إنى لقيت امرأةً أجنبية فأصبت منها كل شيء إلا النكاح ، قال : أصليت معنا ؟ قال : نعم . قال : إن الله قد غفر لك . فأنزل الله تعالى : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات » . رجع إلى المقاطيع :

قال أبو الفرج الجوزي :

يا مانع القبلة من خدِّه قَتَّ قَلْبِي فَهُوَ مَفْتُوتُ
لا تخش أنقامي ولا حرَّها فَأَتَمَّا خَدَّكَ يَاقُوتُ

ولأبي الفضل بن أبي الوفا :

سألتها رشف ريق مستعذب الطعم حاوى
قالت : فصفه أرتجالاً فقلت : بمد التروى

ولابن حجة :

وعاشق أئزم معشوقه قبلةً فى فيه فيها شفاء
ولم يخف من جارحى لحظه خطفاً وقد باس ولم يخطفاه

ولابن العطار :

جمعت بالراح شملى فالله يجمع شمك
وكم يدُّ لك عندي دعنى أقبل رجلك

(١) المنتخبات الشعرية رقم ٦٤٨ شعر تيمور مخطوط ص ٨٧ .

ولآخر :

رأيت في مجلسي مليحاً يشبه بدر الدجى وأحسن
سألته قبله بخدي فجاد بالوصل لي وأحسن

وقال آخر :

سألته قبله الذبيها فصدد عني وقال سروالك
فقات : لم سيدي ؟ فجاوبني : عاقبة البوس حل سروالك

ولآخر في « مشروط على الخدة » :

بروحى مشروط على الخدة أسمر وفاودنا بعد التجنب والسخط
فقال على اللهم اشترطنا فلا تزد فقيلته ، ألفاً على ذلك الشرط
ولبعضهم رحمه الله :

قال الحبيب وقد رشفت رضابه في يوم من رمضان لما زارا
أفطرت ؟ قلت : نعم رأيتك طالماً وهلال وجهك يوجب الإفطارا
ولآخر عفا الله عنه :

قبت مبسمه فقال تذللاً عند اللقاء له ونحن صيام
أفطرت ياهذا ، فقات له : ابتدا الصوم مع رؤيا الهلال حرام
وقال آخر في الجناس :

إن كنت تألف بالحبيب وقربه فاصبر على جور الرقيب وداره
إن الرقيب إذا صبرت لحكمه ثواك في مشوى الحبيب وداره

محاسنُ الخلقِ والخلقِ^(١)

عن وهب بن منبه - أنه قال : قال موسى عليه السلام : أى رب أىّ عبادك أحبّ إليك ؟ . قال : من أذكر برؤيته . وقال وهب : قال داود : ياربّ أىّ عبادك أحبّ إليك؟ قال : مؤمن حسن الصورة . قال : أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : كافر قبيح الصورة ...

وفي مسند الإمام أحمد عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم : إن الله يحبّ الجمال . رواه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدرى ، وعبد الله بن مسعود وجماعة .

وعن حديث ابن حديج عن أبي مليكة ، يرفعه : من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً وجعله في موضع غير شائنٍ له ، فهو من صفوة الله من خلقه .

وفي الصحيحين عن أبي بريدة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : أوّل زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يستحبّ أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسن الوجه حسن الاسم . وكان يقول : إذا أبردتم إلى بريداً فليكن حسن الوجه حسن الاسم .

وفي مليح :

يا من له وجهٌ بدت أنواره كالشمس عند طلوعها بل أشرف
لولا هواك لما جفا جفنى الكرى ليلاً ، وبثّ بدمع عيني أشرق
وفي آخر :

شبهت بالبدر الحبيب فقال لى لاح به أثر الصبابة لا يخ
لا وجه للتشبيه ، قلت : أما ترى وجه الحبيب ؟ فقال : وجه واضح
وقال له :

وجه يفوق الهلال حسناً ويُخجلُ البدر إن تجلّى
يقول في الحال من رآه أشهد أن لا مليح إلا

وقال آخر :

أحبُّ من المردان كلَّ مهفِفٍ رشيق الثنى لم يسر في خدِّه الشعرُ
فأما إذا ما الشعرُ في خدِّه بدا فلا خير في اللذات من دونها السَّترُ

وقال آخر :

أظهروا وجهك المليح ثمَّ لاموا من افتتنَ
لو أرادوا جنائبي حجبوا وجهك الحسنَ

وقال آخر وأجاد :

يا من وهبتُ له روحى فعذبها ورمتُ تخلصها منه فلم أطق
أدرك بقيَّة نفس فيك قد بلغت قبل الماتِ فهذا آخر الرَّمقِ
ولا بن الخطيب في « الحسن » :
الدُّرُّ فوق جبينه يتوقَّدُ

كتب الهوى بيد إليه يؤكِّدُ والماء في وجناته يتردَّدُ
وله أيضاً :

جفون ممزبي يملأنه مئى وإن وداده تكليفُ
لكننى لم أنا عنه لأنه خبرٌ رواه الجفن وهو ضعيفُ

ولشهاب الدين بن ناصر الدين :

بي سقام من جفون قد جفونى لست أبرأ
وعيون فاتكات من سيوف الهند أبرأ

ولآخر :

كأنَّ مقتلته صاد ، وحاجبه نون وموضع تقبيلاته ميم
فصرت أعبد منه في الهوى صنماً وعابد الصنم الإنسى مخدوم

ولآخر - في العيون :

يا من يشبه نرجساً بنواظر دعج تنبه إنَّ فهمك راقد
أين القياس لمن يصحَّ قياسه بين العيون وبينه ذا ساعد

وقال أيضاً في ذلك :

وظيُّ إذا عاتبت ناعس طرفه
ألا فاقمهدوا قتيل بسيف جفونه
ولآخر - في العيون السود :

عيونك السود إن مدت سوافها
وإن كان جبل الجفا سود معارفها
ولآخر - في ذلك :

كنت أشتهى بحبيبي ألف ناقة سود
أنزل إلى الحرب آخذ عود وأعطى عود
وفي من عينه زرقاء :

بعينه الزرقاء
واعجباً أحبه
وفي أحول :

قالوا شُغات بأحول فأجبتهم
لاتحسبوا حولانه .. لكنه
وفي من بعينه رمد :

جاء الحبيب وعيناه بها رمد
وقال أرجو علاجاً قلت واعجباً
وفي الوجنة الحمراء :

الطرف بعدك قد عادت مدامه
والقلب في الوجنة الحمراء يأسكني
وفي مبتسم الثغر :

جاء بصبح ثغره مبتسماً
قلت له : دمت لقلبي هكذا
يمشى بليل الشعر في دلال
ما دامت الأيام والليالي

وفي حبيب :

قال الحبيب يقول ثنرى إنه
يازيد خذ منه الحديث فإنه
ذو قرقف داء المحبة دافع
حسن رواه مالك عن نافع

وقال في أحور :

وأحور طرفي حابر في جماله
وعرينه أفتى أتمم وطرفه
وفي لجلجة كلام المحبوب :

عابوا التلجلج - في كلام معذب
إن الذي ينسى الكلام لسانه
فأجبتهم والمذر فيه بيان
ولسانه من ريقه سكران

وفي معاينة حسن الحبيب :

لو عاينت عينك حسن معذب
عين الرشا ، قد القنا ، ردف النقا
مالتنى ولكنت أول من عذر
شعر الدجى ، شمس الضحى ، وجه القمر

ولابن مبارك :

يا أيها المشاق قد جاءكم
أجيد إتلاف روح امرئ
متيم يسأل كفى يهتدى
على مליح في الهوى أم ردى

وقال آخر - في من بيده مديّة :

وشادن في يده مديّة
ما كان محتاجاً إلى حملها
جردها للفتك من غمدها
فلحظه أقطع من حدّها

ولأبي نواس - في أحور ساحر العينين :

ويلي على أحور ممكور
تختاره الحور علينا كما
وساحر العينين مسحور
تختاره نحن على الحور

وفي من يسكى :

يا قرأ أبصرت في مآثم
لا تبك للميت ياسيدى
يندب شجوا بين أثواب
وايك قتيلاً لك بالباب

وفي من ينظر في المرأة :

وإذا أراد بأن يزره طرفه أخذ المرأة بكفه فتفرجاً
فكأنه وكأنها في كفه شمس الضحى قد قارنت بدر الدجى

وفي قواس :

قالت لقواس له طلعة
يا من له وجه كبدر الدجى
من رام عنها الصبر لم يقدر
بكم تباع القوس للمشتري ؟

وللأزميري في رام :

بأبي وأمي رامياً يسبي الحشا
لما أراد إطلاق سهم رامياً
بلواحظ تسطو على العشاق
زاد الوري عشقاً على الإطلاق

وفيه أيضاً :

رمى عن قوسه في الطير سهماً
وفوق نحو قلبي سهم طرف
على عجل ولم يعجل رويدا
فلم يخطئ بسهميه السويدا

وفي رمال :

وضارب بالرمل من حسنه
كأن من أبدع في خلقه
يزدحم الناس على رمله
قد خلق العشاق من أجله
مستخرج في الرمل أشكاله
وما يريدون سوى شكله

ولابن الوردي في ذلك :

حكي القضيبي والقنا
وقال وصلي غفلة
بالرمل والأنايل
إلا بفيض داخل

وقال في منبج :

ورب منبج قد صد عني
فقلت عساك ترجع عن قريب
ولي أبداً بطلمته ولوع
فقال الشمس ليس لها رجوع

ولابن الزَّيْنِ في تاجر :

وتاجرٌ شاهدت عشاقه قال على ما اقتتالوا هكذا
والأزميرى - في تاجر أيضاً :

وتاجرٌ يملح عشاقه ما رَدَّ يوماً منها زائراً
وله في شاعر :

لا تمذلوني إذا عشقت شاعراً في فيه نظم الدرِّ يا رفاقي
فهو البديع حسنه لكنه يميل للتصريح في الطباق
ولآخر في الخلد :

بَدَأَ في الخلد عارضه فأضحى عليه مفيض بالوم يُنْزِي
وحاول أن يرى متى سأوا فقال : لقد تمذّر . قلت : صَبْرِي
ولآخر ... اقتباس - في مَنْ في خَدّه عذار :

رأيتُ في خَدّه عذاراً خلعت في حبه عذارِي
قد كَتَبَ الحسنُ فيه سطرأ ويوجُّ الليلَ في النهارِ
ولابن المعتز في ذمّه وهجره :

يارب إن لم يكن في وصله طمعٌ ولم يسكن قدح من طول هجرته
فاشف السقام الذي في جفن مقلته واستر محاسن خديّه بلحيته
وله أيضاً - عفا الله عنه :

ها قد غدا في ثياب الشعر في كفنٍ وقد تمّعت معاني وجهك الحسنِ
وكان يعرض عني حين أبصره فصرتُ أعرضُ عنه حين يبصرني
وقال آخر :

لما التحى ومحا الإلهُ جماله وكساه ثوبَ مذلةٍ ونفاقِ
كتب الزمان بخطه في خَدّه هذا جزاء معذب العشاقِ

وقال آخر :

غداً أسوداً بالشعر أبيض وجهه
على وجهه أضحى بخطى عذاره
فأصبح من بعد التَّعْمِ في ضَنْكِ
تناديهما عيناه حزناً : قفانْبِكِ

ولآخر ... اقتباس :

قتل النَّاسَ باللَّوْاحِظِ حَتَّى
طلعت ذقنه وعيناهُ كَلَّتْ
أذهب الله حسنه والجمالاً
وكفى الله المؤمنين القتالاً

وآخر . . مثله :

لما بدا في خده عارضٌ
وقلت غدا عارض ممطرٌ
بشرتُ قلبي بالسَّوِّ المقيمِ
فجاءني منه عذابٌ أليمٌ

وقال آخر ... أيضاً :

قلت لما تشركت عارضاه
إيش هذا فقال لي في جوابي
وأباد السوادُ ضوءَ نهاره
كلَّ من ماتَ سودوا باب داره

ولابن نباتة :

وأمردٌ مقتته ربُّه
أرسله الله لنا آية
بدَّله بعض الضياء بالظلم
ليعلموا كيف زوال النعم

وله أيضاً - رحمه الله :

دارت عذار حبيبي
فياله حسن وجهي
حتى غدا وهو حير
دارت عليه الدوائر

وقال آخر :

وخلّصني من يدي عشقه
كنست فؤادي من حسنه
ظلام على خده حنّده
ولحيته كانت المكسّه

وقال آخر . والله درّ قائله :

ما فعل الله باليهودي
ولا بفرعون من عصاه
ولا بمعاد ولا ثمود
ما فعل الشعر بالحدود

ما قيل في الأسماء^(١) :

في محمد بن عربي :

أحمد عساك تشهد لي أني قتيل عيونك النُّجْلِ
فقت الملاح فأنت خاتمها وكذا ميمك خاتم الرُّسُلِ
وفيه أيضاً :

قالوا تشفع بالجمال ولو تثبت كان أجود
فأجبت إني مسلم أرجو الشفاعة من محمد
ولابن العفيف :

أيها المودّع قلبي نار وجد تتوقّد
كيف تستأهل ناراً مهجّة تهوى محمد
وفي أحمد :

قد غدا أحمد لي ما أجود وكان بالوصل لنا ينجد
وإن يعد يرضى لمعاقه فالوصل يا أحمد لي أحمد
وفيه أيضاً :

مذ وفا أحمد وعدى ولهبب الشوق أحمد
فأنا في كل حال أشكر الله وأحمد
آخر والله درقائه :

ولقد قنعت من الحبيب بنظرة أظني بها ناري التي لا تخمد
قالوا فمن شئت تحب؟ فأجبتهم غصن النقا بدر الدجى يا أحمد
وفي أبي بكر :

تمسّقت ظبياً فاتن اللحظ فآراً أبو بكر يدعى خليفة طلعة البدر
فلا تنكروا وجدى فإني محمد وإني من أولى الوري بأبي بكر

(١) الجزء مجموع في الشعر مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور ص ١١١ .

وفيه أيضاً :

بروحى أبا بكر فديت ومهجتي مليحاً بيدر التّم في أفقه يذرى
له طلعة كالبدز والنصن قدّه وناظر من بابل جاء بالسحر
والحجازى - فيه أيضاً :

بمدح أبى بكر سموتُ فيا له مليح أرانا وجهه صورة البدر
ولا بدع إذ بالعت في مدحه إذا فأحمد من أولى الورى بأبى بكر
ولشهاب الدين التليح ، وأنشده لنفسه :

منّ حبيبي ووقا وعدّا له وحقّه
ولا عجيباً من أبى بكر الوفا ما أصدقه

وفى عمر :

ما عليهم فى الهوى إذ نظروا حين سموك وقالوا : عمر
أبدلوا قافك عيناً غلطاً أخطأوا ما أنت إلا قر

وفى عثمان :

وافى إلىّ بشمعتين ووجهه بضيائه يزهو على القمرين
ناديت ما الاسم ؟ يا كلّ المنى فأجابنى عثمان ذو النورين

لنز فى عثمان :

يا أيها العارف فى فنّه ومدعى الفهم وعلم البيان
ما قولكم فى أحرف خمسة إذا مضى حرف تبقى ثمان

وفى علىّ :

قال العذول منذ رأى قلبي به فى شغل
بمن فتفت فى الورى ؟ فقلت دعنى بعلى

وله عفا الله عنه :

بعلى قد همت ما بين الورى وبه قلبي المعنى قد بلى
وإذا ما غاب عنى شخصه صاح قلبي وحشة بالعلّى

ولابن حجر الحافظ رحمه الله :

قلت : هل لي من دوا
قالوا سلوى كل حب
قد غدا قلبي عليلاً
قلت إلا عن علي لا

وللحججزي في عبد العزيز :

إن عبد العزيز قد جاء نحوي
في هواه حقاً لقد طاب ذلي
شرح حالي أغنى عن التميز
حيث أصبحت عبد عبد العزيز
وللأزهري في عبد القادر :

حبي عبد القادر الذي له
وكيف لا أريده بين الوري
بهجة حسن والوري عبيده
والله يدرى أنني أريده
لغز في عبد الله :

اسم من أهواه يأسدي
وأخو الورد تمام اسمه
فيه من العنبر حرقان
وواحد ليس له ثان
وفي عبد القوي :

عبد القوي سباني بقده السمرري
وصرت عبداً ضعيفاً في حب عبد القوي
وفي عبد اللطيف :

فتنت بعبد اللطيف الذي
ولا عجب إن بدا لطفه
فطانت أسكنته الفؤاد
فعبد اللطيف لطيف العباد
وفي عبد الحفيظ :

عبد الحفيظ الندي
لا تخشني من ضياع
قد أنجح الله قصده
فالله يحفظ عبده
وفي محمود :

يقول لي منكر حالي به
فقلت لا تسل بحق الهوى
من لك في ذا الحى مقصود
عنه فقصدى فيه محمود

وفيه يهجو :

ما كنت أحسب أنى أجدى إلى زمن يسبنى فيه كلب وهو محمود

وفى إبراهيم :

عجبت لئلا قلبى كيف تبقى حرارتها وحبك تحتويه
فيا نيرانه كوفى سلاماً ورداً إن إبراهيم فيه

وفيه أيضاً :

لا زال بابك للمكارم كعبةً فترى بها للواردين رسوم
حتى يقول القاصدون بأمرهم هذا المقام وأنت إبراهيم

ولابن نباتة فى خليل :

ينيب خليل الحسن عنى ليلة فكيف يطيب العيش عندى والكرى
فأسأم من ليل طويل أراقبه وليس إلى جنبى خليلاً ألاعبه

ولعز الدين الموصلى :

قال حبى خليل غيّرت ودى وتركت الفؤاد متى عليلاً
بعد عشق الملاح صرت تقيّاً ما تراعى من الأنام خليلاً

وقال فى يعقوب :

يعقوب إننى يوسف قد تركتنى من الحزن يعقوباً وأصبحت يوسفاً
وأصبحتُ مخذولاً وقد كنت ناصراً وكنت ملكاً صرت عبداً مكلفاً

ولابن الخياط - فيه أيضاً :

رأيت أنى فى الكرى لائماً مبسمك الشافى آلامى
يوسف انبينا بتأويله فقال هى أضماث أحلامى

لغز فيه . . وأجاد :

يا سائلى عن اسم من أحببته إننى بمن أهواه غير مصرح
فإذا أردت بيانه فاعمد إلى معكوس سابع كلمة فى « سبّح »

وفي موسى :

رأيت في خلق غزالا تمحير في وصفه العيون
فقلت ما الاسم قال موسى فقلت هنا تخلق الذقون

وفي عيسى :

ناديت يا عيسى ترفق بامرئ أحشاؤه قد أحرقت نهكا
عيسى بن مريم كان يحبي من يرى وتميت أنت الحى حين يراكا

في داود :

وثقت بأن قلبي من حديد وفيه على الموى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب إذا داود لأن له الحديد

وفيه أيضا :

أمسى يقر بحسنه بدر الدجى وغدا يذوب بحسنه الجلود
فإذا بدا فكأتما هو يوسف وإذا شدا فكأنه داوود

في سليمان :

له وجنة تدمى من اللحظ رقة يكاد بها ماء الشيبية ينهل
فهذا سليمان لركة خده إذا دب فيه النمل كلمه النمل

في خضر :

مهفف طلعت له ليس بها مناظره وقد غصن نضر
يجرى لنا ماء الحياة وثره لا تعجبوا ماء الحياة فهو خضر

في رجب :

دموعى ربيع والرقاد محرم على جفن عيني مذ هجرت بلا سبب
وفي القلب من شعبان نيران نصفه فجدى بما أرجو من الوصل يارجب

في شعبان :

شعبان قد أمسى يهز معاطفا أبدت حلاوة خصره مع ردفه
لا غرو إن لاحت عليه طلاوة شعبان كل حلاوة في نصفه

على بن سودون - في بركات :

رشاً يصيد الأسد في الفتات
الوجه منه مبارك فإذا بدا
ابن القيصراني في منصور :

يا قمر الوصل في جنة
كم حاربك الشمس في حسنها
النواجي في نجم :

قد كنت أحسب نجم الدين يمنحني
حتى رماني في نيران مهجته
وله في سعد :

أنا قد همت بسعد
فاطرح نصحي ودعني
وله في سعيد :

سموا مني مهجتي سعيداً
إذا اجتمعنا يقول صدرى
وله في قاسم :

شكوت له حالي وفرط صبابتي
وقال استمر صبرى وكن متأسياً
ابن المطار في يحيى :

أيمكن ساوتى يحيى ؟ وروحي
وقلبي يشتهى فيه اكتسابي
وله في هاشم :

في هاشم قلبي بدا دايماً
وكسر قلبي صبح في عشقه
من لحظة الفانك بالعالم
لقلّة الإنصاف في هاشم

وله في عامر :

حبيبي يدعى في الأنام بعامر
يهتد قلبي بالصدود وبالجفا

وله في فرج :

وليس لي غلص أرجو النجاة به
لكن أضمت بيت القائل بن رجا

آخر :

يا لائمي في رشيق القند معتدلي
أشكو الشدائد من وجد أكابده
للحججاج في أمير حاج :

مننت بزورة للعيد يوماً
وأما إن دعيت أمير حاج

ولابن نباتة في عماد :

قالوا العباد مليح
بحسنه قلت قصدي

لعمز الدين الموصلي في جراحة :

لقبوه جراحة وهو ظي
صدته فامتلا فؤادي شحماً

لابن نباتة في إلياس :

أفدى مليحاً في البرايا لم أزل
قالوا أنقطعه كبيراً قلت من

لنفر في إسماعيل :

اسم من قد هويت ست حروف
عيل صبرى تمام اسم حبيبي

نصفها ما تبديت فاستفهموها
ما على العالمين لو فهموها

لابن الصايغ، في حسن :

إن الحسود عندما عاين ذا الحسن افتتن
وقال لا بدع إذا أتى على بالحسن

وفي حسين :

حسين سباني حسنه ولحاظه
رمانى بسهم اللحظ قلت له ائتد
سميك مقتول وأنت قتلتنى

وفي بدر :

سموه بدرأ وذاك . لما
وأجمع الناس إذ رأوه
أن فاق في حسنه وعمّا
بأنه اسم على مستمى

وفي كمال الدين :

دينى تكمل مذ جُعِلتم قبلتى
وغدوت أنشد فى البرية كلّها
وسجدت فى أعتابكم بجيبينى
ما الفخر إلا فى كمال الدين

فى عزّ الدين :

مولاي عزّ الدين يامن غدا
بكم حقيقاً حسنت حالتي
مادحه ما زال فى عزّ
والذلّ قد بدّل بالمرّ

فى تاج الدين :

يبابك تاج الدين قد جئت مهدياً
فزادت بهاء من عطائك سيدى
جراهر لفظ لم ينلنى تاجر
وفى التاج أبهى ما يكون الجواهر

الشهاب الصائم، فى عبّ الدّين :

فى ملاح لك شتى
كم ليالى مع غزال
ضعف القاب وشتا
يا محبّ الدين بتّا

في شرف الدين ، يهجو ، وأجاد :

السيادة	يرجّون	شرف	الدين	لقبوه
وزيادة	شراً	وهو	خير	كيف يرجى منه

في زيتون يهجو فيه :

لو أنصفوا سمّوك زعرورا	سمّوك زيتونا فما أنصفوا
وأنت لا زيت ولا نورا	لأن للزيتون زيت يضي

في يونس :

حكى البدر وجهها قلت بل هو أملس	وقالوا حبيب القلب بدرٌ وقده
ولو لم يكن بدرّاً لما كان يونس	فلو لم يكن غصنا لما كان مائلا

آخر، وأجاد:

له مقلة سوداء وانلحده أطلس	شغفت بفتان اللواحظ أهيف
فيوحشني والحب في القلب يونس	فإن غاب عن عيني تصورت شخصه

في مقبل :

ما زال عنه كلّ يوم يسأل	يامن تحجب عن محبّ صادق
ويقال لي هذا حبيبك مقبل	من لي بيوم فيه يسمح باللقا

في شاهين :

خطف القلوب وبالألحاظ شاهينا	يامن تسمّى بشاهين وسيمنه
فهل ترى أنت يا شاهين شاهينا	قد اشتبهناك بالشاهين لا نقسا

في عنبر :

وعرف رياه قد تمطر	مذ رآني عنبر حبيبي
وشاقتني من شذاه عنبر	أرشفني من لاه خرا

في بشير :

وجا كبدر منير	مبهجتى سبا
والواصل وافي بشير	وقد جاد لي بالرضا

في سنبل :

يقولون لي إذ زار في الحبّ سنبل وقد فاق ريتاً نشره كلّ مندل
أهذا شذا مسك تضيع نشره فقلت له هذا شذا عرف سنبل

في كافور :

مذ زار كافورنا البديع سنا ووجهه حفّ من سنا النور
شاهدت من خاله بوجنته نقطة مسك تبدو بكافور

في مسرور :

يقولون لي مسرور وافاك زائراً وقد بت بالصباية ماسوراً
فقلت لهم قد زال همي بوصله وقلبي به في الحب أصبح مسروراً
في ريحان، والله درّه :

فديت ريحان صبا بالجووى وبعاد قلبي شفه الأشجان
لما رنا بلحاظه من نرجس وبدا بعارض خدّه ريحان

في صبيح، وأجاد :

أرى صبيح مهتجى قد سبي وصير الدمع بخدّ يسبيح
فكيف لي بالصبر عن حبه وقد سبي قلبي بوجه صبيح

في مبارك :

مبارك يا عدولي أطلت فيه مقالك
لو زارني كنت أحظى منه بكعب مبارك

في فرج :

يا قلب صبراً إذ أتاني فرج عساك بالوصل منه تبتهج
وربّما تبلغ المراد وكم قد جاء عند الضيق الفرّج

ما قيل في المهن والحرف :

في إسكاف :

ربّ إسكاف مليح حسنه ذاب قلبي منه صدًا وجفا
كلّما أشكو إليه سقمي قال ما عندي سوى هذا الشفا

في بخاتق :

تسلطن في الملاح بخاتق ولم يرض يبدر التّم نايب
وصفّ له من الأتراك جنّدًا وأصبح موكبًا تحت المصايب

في حباك :

يا مليحًا مهذب مقلته صاد قلبي منه بالشرك
مذ رأيت الحبك صنمته قلت هذا البدر في الحبك

عز الدين الموصلی، في حجام :

وحاجم في الكاس أجرى دماء من ساق ساقينا ياشفاق
لكنّه خالف في شرطه فتحكم الكاس على الساق

في حریری :

حریری يبيع الحسن لكن شبيه النصن والبدر المنير
كسى جسمی السقام ولا عجيب لثوب السقم من هذا الحریری

وما أحسن من قال ما ينسج على تكة .. وأجاد :

أنا قفل من حریری ... فوق خصر مستدير
أنا لا أفتح إلا ... عند أوقات السرور

وقال في حداد، وأجاد :

تمشّقت حدادًا بديع ملاحه له طاعة في الحسن تعلو وتشمخ
إذا رمت بالنطريق وصلًا بقربه أراه ستر النیظ ثم ينفخ

في حلاوى :

ريق الحلاوى أحلى من حلاوته في خصره دنف والرّدف منقوش
والدّمع سكب وأحشائي تقوضه والحد مّنى بماء الدمع مرشوش
لابن الوردى فيه أيضاً :

الحلاوى قال لى أنا للحسن معدن
سهم عيني مسبر وعدوى مكفن
والصفدى فيه أيضاً :

إن هذا الصّبى الحلاوى أضحى يتجنى على الكتيب ويحقد
لا تعارضه فى هواه بشكوى دعه فى دسته يحل ويعقد
فى حوايجى :

حوايجى أتيت أسأله قلت له يا أخا الرضا صف لى
فى عنق دمل به ورم قال يداوى برهم النخل
لابن الوردى، فى خياط :

لما أتى والمقصّ فى يده ... وفصل الماتقين والبدا
فقال وصلاً يعوز قلت له العايز الوصل يا مليح أنا
وأيضاً فيه :

مررت بخياط حكي البدر طلعة وشا كل غصن البان لما انثنى قدّا
يقدّ ويفرى الثوب ثم يخطه فلم ثوب قلبي لا يخاط وقد قدّا
وللأزميرى فيه أيضاً :

لله خياط إذا سألته وصلاً أراه جا بالمطوب
وإن شكوت غمّتى لردفه فرجها بالوصل والركوب
فى ذهبي :

عشقتّه ذهبيّ اللون طلعتّه أبهى من البدر بل أبهى من الشهب
إن ملت طبعاً إليه ليس ذا عجب فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

وفيه أيضاً :

إلى الذهبي صبا قلبي وكم يدعو للمعطب
ألم ترفى على شفق أحب الرضع في الذهب

وفي راشد :

أقول لراشدي لما تبدي عساه يكون لي بالوصل ناجد
بحسن جمالك الحسن الفدي إلى العشاق قد وافاك راشد

وفي رسام :

هويت رساماً كبدر الدجى وثنره كالدرّ إذا تبسم
قلت له صلي ولو ساعة قال بكم ؟ قلت : بما ترسم

وفي رفا :

يا رافيا قطع كلّ ثوب يا بنية النفس يا مرادى
عسى بخيط الوصال ترفى ما فرق المجر من فؤادى
والصفدي فيه أيضاً :

ورفا له وجهٌ مليحٌ محاسنه البديعة ليس تخفى
شغلت به الفؤاد ولا زمانا أرى ثوب الفؤاد يمد زرفاً

في بياع ريحان :

يا صاح ريحاننا قد زارنى وبكاس فيه لماً سقانى
لما نظرت إلى شقايق خده سلب الفؤاد عذاره الريحان

والصفدي في سكرى :

سبتنى صفات السكرى الذى له بضاعته حتى عدت قرارى
مكرر لفظ في سنيئات مبسم وأحمر خدّ في نبات عذارى

ولابن العربي . . في مليح يسبي الفؤاد :

وظبي يطرق بمرآته فيسبي فؤادى من لطفه
وهيهات أن أرتجى من هواه خلاصاً ودفى في كفه

ولبدر الدماميني، في سبّاك :

سبّاك تبر وفضة صنعته
قلت له سبني أنا وأخي
وقال آخر، وأجاد، في سروجي :
فتنت به سروجيًا بديعاً
إذا جذب النرام له عفاني
في سقا :

لله سقا له طلعة
أروم أن يسكب لي قربة
وللأزميري فيه أيضاً :

عشقت سقا كالزلال رضا به
يروي المبرد عن لاه كاملاً
ولشيخ الشيوخ بحماسة، في شرابي :

سألته من ريقه شربة
فقال أخشى يا شديد الظما
ولابن الصايغ، في شماع :

نظرت إليه شماعاً مليحاً
له خدّ جمر لا لهيب
مواليا في صابوني :

حبّيت أهيف رقيق الخصر صابوني
والله لو فتشوا قلبي لصابوني
ولبدر الدين الدماميني، في صايغ :

وصايغ شادن هام الفؤاد به
يا ليتني كنت منفاخاً على فمه
وحبّه في صميم القلب قد رسخا
حتّى أقبل فاه كلما تقصّيا

وله أيضاً في طيب :

طيب يحاكى النصف في حركاته أصير روى في هواه سيلاً
عجياً له يرى السقام بلطفه وبطرفه يدعى السقام عليلاً

وله في طحان :

لله طحان تبدى وجهه قرأ له قر الساء رقيق
وجناته ماء ولكن قلبه حجر وأما خصره فدقيق

وله أيضاً في عطار :

قلت لعطار به صبوتى محمودة والصبر لا يستطاب
أسقيتنى كأس غراى به ذبت ومن فيك برانى الشراب
وفى مليح جالس عند عطار :

وعطار مررت عليه يوماً وجدت بجانبه ظلياً رماني
فقلت له أعندك ماء ورد ؟ فقال : نعم ، وعندى ما لسانى

ولابن الفرس، وأجاد، فى عوام :

يا حسن عوام كفنن النقا ييخل بالوصل لمن هاما
ويقنع المشاق منه بأن يريهم الأرداف إن عاما
وقال آخر، وأجاد، فى فاخران :

سباني فاخران بديع حسن رى فى القلب بالبحران جمره
فهمت من النرام له بحب وقصدى منه أن أحظى بجره

وفى قباني :

أشرت إلى الحبيب وقد تبدى بقباني ودمع العين سايلى
فدل بحسنه تيهاً ونادى إشارات الحب لها دلايلى

وللسيد محمد رضوان الرعاد - فى قصاص :

أشكو إلى الله قصاصاً يجرعنى بالصد والهجر أنواعاً من القصص
إن تحسن القص يئنا فقلته أيضاً تقص علينا أحسن القصص

في بايع الكتان :

ربح محبة لم يزل قلبه
من طاب التسريح من حبه
ولا بن الوردى - في كفتي :

لا أرى من محبة لي مخرجاً
مذ تبدى في حديد فحكي
ولا بن العفيف - في كواني :

اسم حبيبي وما يعانى
قالوا على فقلت قدر
وقال آخر ، في مليسح مكحول :

يا أيها الرشا الكحول ناظره
إن انهمسك في التيار حقق أن
ولا بن الوردى ، في مزين :

بأبي شادن تملك روى
مسك الكلبتين قلت عجيب
ولأبي الفضل بن أبي الوفا ، في مجبر :

أحببت من بين الأنام مجبراً
ناديته قلبي كسير بالجوى
ولا بن الوردى ، في مهماميزى :

صاح هذا المياميزى عارضه
وجد بالوصل لي يوماً رفست على
ولآخر - لبائع الفخار :

بائع الفخار بدر
ما الذى تبنيه منى
قال للماشق جهره
قال قصدى ألف جره

وفي ملالي :

ملالى المراق نوى حجازا به العشاق وجداً قد أمالا
إذا سألوا وداعاً لم يجيبهم بلا إيه ولا نعم ولا لا
وقال ابن عربي ، في ناتف :

وقالوا دع المحبوب وأهجره دائماً أَلَمْ تَرَهُ بِمَدِّ الْمَلَاةِ يَنْتَفِ
أينتف من أجلى ويتمب نفسه وأهجره تالله ما أنت منصف
ولابن الوردي ، في نطاع :

هويت نطاعاً إذا جيتـه بادرني باللحظ والصفح
أروم أن أحظى بوصلـه قابلني بالسيف والنطع
وللسراج الوراق ، في وراق :

يا حسن وراق أرى خدّه قد راق في التقبيل عندى ورقّ
تميس في الدكان أعطافه ما أحسن الأغصان بين الورق
وقال ابن حبيب فيه أيضاً :

فتنت بحسن وراق تقور بقلب الصبّ نار البحر أصلاً
صقيل الوجه كم ذرح لديه وبنضب إن طلبنا منه وصلاً
وللسيد محمد رضوان الرعاد ، في وقاد :

أحببت وقاداً كبدر طالع أنزلته برضى الغرام فؤادى
وأنا الشهاب فلا تعاند عاذل إن ملت نحو الكوكب الوقادِ
وللصفدى ، في قطان :

قطاننا	مهفف	تعتله	أردافه
ناديت من وجدى به		ياليتنى	ندافه

وله في بياع مرسين :

يا صاح مرسيننا لو زارنى يوماً لكان بوصله يشفينى
لما نظرت إلى رياض خدوده سلب الفؤاد عذاره المرسينى

وله ، في بيع نرجس :

بالروح أفدى فوجيا خدّه ورد وآس عذاره كالسندس
لما دنا ونظرت روض جماله زهتْ طرفي في عيون النرجس

وله ، في بيع بنفسج :

سبا بنفسجنا بحسنه قلبي الشجى
لما بدا في خدّه عذاره البنفسجى

وله ، في بيع تفاح :

لله من بيع تفاح إذا غلبني بحسن جبينه الوضاح
لما نظرت لحسن نرجس كفه هام الفؤاد بخدّه التفاح

وله ، في بيع سفرجل :

لله من سفرجلي شاقى بفتح طرف بابليّ الحل
حيّا بكاس الراس مع القرنفل ما أحسن الراح مع السفرجل

وله ، في بيع الورد :

لله وردٌ نبا البديع سنا وما جرى في الثمر من شهد
لما تأملت روض وجنته تيمّ قلبي بخدّه الورد

عداوة النساء

طاعتهن تردى العقلاء وتذلّ الأعزاء :

ذمّ بعض الحكماء من القدماء - جماعة النساء ، فقال :
هنّ نار توهج ، وسلّم إلى كلّ بلاء ، وهنّ مثل شجرة الدفلى ، لها رونقٌ وبها ثمر
إذا أكله البعير آذاه وقد يودى به .

ومن أمثالهم : طاعة النساء تردى العقلاء ، وتذلّ الأعزاء . . .
ونظر بعض الصالحين إلى امرأة تنزّين وتتعطّر ، فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها
وزاد جمالها ، فقال لمن حوله : إنّما المرأة مثل النار إذا زيد في حطبها تأججت واشتدّ حرّها ،
وضاءت للناس ، فهي حسنة النظر ، تحرق من دنا منها .
وقال بعض الحكماء : الكيس من لم تضطره النساء . وقال أيضاً : من كانت لذّته في النساء ،
وقع في أعظم البلاء . .
وقال : من أراد أن يعيش عيشة رغد ، ويحيا حياة بلا نكد ، فلا يشغل فكره بشهوة
النساء ، ولا يوى إليهن بطرفه ولا بيده .

وقال حكيم : كلّ أسير يفتكّ إلا أسير النساء فإنه غير مفكوك ، وكلّ مالك يملك
إلا مالك النساء فإنه مملوك ، وما استرعين شيئاً قط إلا وضاع ، ولا استؤمننّ على سرٍّ إلا
ذاع ، ولا أطقن سرّاً فقصرن عنه ، ولا حوين خيراً فأبقين منه ، فقليل له :
كيف تذهبنّ ، ولولا هنّ لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء ؟ !
فقال : مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء ، لا يلامسها جسدٌ إلا اشتكى ، وحملها
مع ذلك الرطب الطيب الجنى . والسلاء : جمع سلاة وهي شوك النخل . .

وروى فيهن : أنهن محملات الآصار، ومكلفات الأوزار، وأكثر أهل النار، ولا يصبر عليهن إلا الأخيار ، وأنهن يسرعن اللعن ، ويكثرن الطمن . وفي الحديث : أنهن يكفرن العشير ، وينسكن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط !

وقال لقمان : استعذ بالله من شرار النساء ، وكن من خيارهن على حذر .

وقيل لبقرط : أى السباع أحسن صورة ؟ فقال : النساء .

ورأى امرأة ذهبت إحدى عينيها ، فقال : قد ذهب نصف الشر .

ورأى البحر قد حمل امرأة - فقال : شرٌّ يجنى شرًّا . . ورأى رأس امرأة على شجرة

فقال : ليت كل الشجر يثمر مثل هذا الثمر .

ونظرت عجوز من الفلاسفة إلى رجل يريد أن يعرس ، وقد زين داره وزوّقها وكتب

على الباب : « لا يدخل على من هذا الباب شيء من الشر » .

فقال له : « فامراتك من أين تدخل ؟ » .

وتكلم نسوة عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال لمن : اسكتن ، فإنما أنتن لعب ،

إذا فرغ لكنن ، لعب بكن .

وقيل إن الإسكندر خرج إليه في بعض حروبه نساء يحاربنه ، فقال لأصحابه : كفوا

عنهن ، فإن ذلك جيش إن غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا فخر ، وإن غلبنا فهي الفضيحة

الباقية مع الدهر .

ورأيت في بعض الكتب أن بعض النسوة لا يسكن مع الرجال ، وأن أزواجهن يسكن

ناحية منهن ، فتى احتاج الرجل إلى امرأته أتاها ف قضى مدة عندها وانصرف فإذا ولدت

ولداً ربته حتى يكبر وأرسلته إلى أبيه . وإن كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى يبيس

لثلاً يمنعه الطمن بالرمح ، وتركت الآخر الأيسر - لترضع به ولدها ، ومع هذا فلا تؤمن

صحبتهن ، ولكن لا بد من الأدب في ذلك .

قال عمر رضى الله عنه : عودوا نساءكم - لا ، فإن - نعم - تجريهن على الألسنة .
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شاوروهن وخالفوهن »
وقال علي - رضى الله عنه - لابنه محمد بن الحنفية : إياك يابني ومشاورة النساء ، فإن
رأيهن إلى الأفق ، وعزمهن إلى الوهن . واكفف عليهن من أنصارهن بحجبتك إياهن ،
وإن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تطل الجلوس معهن فيهلكنك وتملن ، واستبق
من نفسك بقية .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « كمل من الرجال كثير ، ولم تكل من النساء
إلا امرأتان : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران » .
وخطب النبي عليه صلوات الله وسلامه - نسوة فقال لهن : « إن كنن إذا جعلن دقعتن ،
وإذا شبعتن أثرتن » . وفي بعض الروايات ورد - بدلاً من لفظ (أثرتن : حجلتن) .
ومعنى (دقعتن : خضعتن ولصقتن بالدقعاء ، وهي غبرة التراب ، ويقال - فقر مدقع ،
أى ملصق بالدقعاء . وقالوا : رماه الله بالدقعة ، وهي الفقر والذل ، وجوع ديقوع - أى :
شديد .

وقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام - في النساء : « ما تركت بعدى فتنة أضرت على
الرجال من النساء » . وفي الشهاب : النساء جائل الشيطان . وقال سعيد بن المسيب رحمه الله :
ما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء . وقال وهو ابن أربع وثمانين سنة ،
وقد ذهب بصره : ما شيء أخوف عندي من النساء . وقال بعضهم في هذا المعنى :

أضرت شيء على الإنسان شهوته	تلك التي أوردته لجة النكد
إن الفضول لعمر الله أدخله	في أن يكابد هم الأهل والولد
يحتاج داراً وأهل الدار يطلبه	كل بشهوته ، فايعط ، أو .. يعيد
فاضطره الحال أن يسعى ليرضيهم	فظل من بلد يسرى إلى بلد
كانه حجير يرى به نزيق	من هاهنا لهنا ، أو من يد ليد
ما هم الدهر إلا ما يؤلفه	وما يجمعه من جيد وردي

وما يبالي حراماً منه ذاك أنى
حتى إذا اجتمعت تلك المكاسب من
أَمْسى يُفَرِّقُهَا فِيهِمْ وَنَيْتُهُ
وَرُبَّمَا أَسْخَطَ الْمَسْكِينُ خَالِقَهُ
الْفَرَضُ ضَيْعَهُ ، وَالِدَيْنُ أَتْلَفَهُ
وَكُلَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ النِّسَاءِ ، فَلَا
يَسْلُبْنَ لُبَّ ذَوَى الْعَقْلِ الرِّصِينِ ، كَمَا
يَارُبُّ شَهْوَةَ وَقْتٍ أَوْرَثَتْ غُصَصًا
قَدْ كَانَ فِي شُغْلٍ عَنْهُنَّ قَاطِبَةً
لَكِنَّهُ عَمِيَتْ عَنْ ذَلِكَ مُقْلَتُهُ

ومن شعر أبي العمران الميرتلي رحمه الله :

وَقَالُوا : تَزَوَّجْ فَنَعْمَ الْفَتَاةُ
وَلَوْ أَسْتَطِيعُ لَطَلَّقْتُ نَفْسِي
أَشْقَى بِهَا دُونَ مَا ضَرَّةٍ
وَمَا تَقْنَعُ الْعَرْسُ مَتْنِي بِشَيْءٍ
فَنَفْسِي أَوْلَى بِنَفْسِي ، وَدَعَّ

عَرَضْنَا عَلَيْكَ تَنْلَ خَيْرَهَا
فَكَيْفَ أَضِيفُ لَهَا غَيْرَهَا
وَأَمِنْ مِنْ ضَرَّةٍ صَيْرَهَا
سِوَى أَنْ تَصِيرَنِي غَيْرَهَا
سِوَاهَا تَسِرُ وَتَصِلُ سَيْرَهَا

بنات الأربعين من الرِّزَايَا :

أُنشِدْنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْيَزِيدِيُّ ، قَالَ : أُنشِدْنِي عَمِّي لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

مَطِيَّاتِ السَّرُورِ بَنَاتُ عَشْرِ
فَابِ جَاوِزَتِهِنَّ فَسِرَ قَلِيلًا
مِقَاسَاةُ النِّسَاءِ مَعَ اللَّيَالِي
إِذَا أَوْلَدَتْهُنَّ مِنَ الْبَلَايَا

إِلَى عَشْرِينَ ، ثُمَّ قِفِ الْمَطَايَا
بَنَاتُ الْأَرْبَعِينَ مِنَ الرِّزَايَا
أُولَدَتْهُنَّ مِنَ الْبَلَايَا

طرائف عن الحب

حيلة عاشق :

كان لأبي العتاهية الشاعر العباسي نوادر لطيفة مع « عتبة » جارية المهدي ، تدل على كمال ظرفه ؛ ومن ذلك ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد قال :

إن أبا العتاهية لما ألح في أمر « عتبة » - لأول دخوله بغداد، ولم يزل منها شيئاً، وجدها يوماً قد جلست في أصحاب الجوهر، فمضى فلبس ثياب راهب، ودفع ثيابه إلى إنسان كان معه، وسأل عن رجل كبير في السوق ، فدُلَّ على شيخ صائغ ، فجاأ إليه فقال : إني قد رغبت في الإسلام على يدي هذه المرأة . . يعني « عتبة » .

فقام الشيخ الصائغ وجمع جماعة من أهل السوق ، وجاء إلى « عتبة » فقال لها : إن الله قد ساق إليك أجراً ، هذا هو راهب قد رغبت في الإسلام على يدك . فقالت : هاتوه . فدنا أبو العتاهية منها - وهو في زي الراهب - فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . ثم قطع الزنار ، ومال على يديها فقبلها .

فلما فعل ذلك، رفعت البرؤس عن وجهه، فعرفته وقالت : نَحْنُوه، لعنه الله ! فقالوا لها : لا تلغنيه فقد أسلم . فقالت : إنما فعلت ذلك لَقْدَرِهِ . فعرضوا عليه كسوة ، فقال : ليس لي حاجة إلى هذه ، وإنما أردتُ أن أشرُفَ بولائها ، فالحمد لله الذي منَّ عليَّ بحضوركم .

وجلس أبو العتاهية ، فجعلوا يعلمونه (الحمد) وصلى معهم العصر ، وهو في ذاك ينظر إليها ، لا تقدر له على حيلة !

وحدث البرد : أن « رَيْطَةَ » بنت أبي العباس السفاح ، وجهت إلى عبد الله بن مالك الخزازي في شراء رقيق للمعتق، وأمرت جاريةً (عُبَّة) - وكانت لها ثم صبحت « الخيزران » بعدها - أن تحضر ذلك . فأتتها لجالسة إذ جاء « أبو العتاهية » في زي متنسك فقال لها :

جعلني الله فداك ، شيخ ضعيف لا يقوى على الخدمة . فإن رأيت - أعزك الله - شراً وعتق ، فعلت مأجورة . فأقبلت على عبدالله فقالت : إني لأرى هيئة جميلة ، وضعفاً ظاهراً ، ولساناً فصيحاً ، ورجلاً بليناً ، فاشتره وأعتقه . فقال : نعم أفعل . ثم قال لها أبو العتاهية : أتأذنين لي - أصلحك الله - في تقبيل يدك ؟ فأذنت له ، فقبل يدها وانصرف . فضحك عبد الله بن مالك وقال لها : أتدرين من هذا ؟ فقالت : لا . قال : هذا أبو العتاهية ، وإنما احتال عليك حتى قبل يدك !

بين الحب والمال :

وكان أبو العتاهية قد قصد بغداد من الكوفة ، مع زميلين له ، ليستفيد بشعره عند أمراءها ، ولم يكن لهم في بغداد من يقصدونه ، فنزلوا غرفةً بالقرب من الجسر ، وكانوا يبكرون فيجلسون بالمسجد الذي يباب الجسر ، في كل غداة . فررت بهم يوماً امرأة راكبة ، معها خدم سودان . فقالوا : من هذه ؟ قالوا : خالصة . فقال أحدهم : قد عشقت خالصة . وعمل فيها شعراً أعانوه عليه . ثم مرت بهم أخرى ، راكبة أيضاً ، ومعهما خدم بيضان . فقالوا من هذه ؟ قالوا : هذه (عتبة) فقال أبو العتاهية : قد عشقت عتبة . وعمل فيها شعراً .

ولم يزالوا كذلك ، حتى شاع الشعر المصنوع إلى الجاريتين ، وتحدث الناس بمشق أبي العتاهية وزميله لها . فقال صاحبا الجاريتين : نمتحن العاشقين بمال على أن يدا التعرض للجاريتين . فإن قبلوا المال كانا مستأكلين ، وإن لم يقبلوا كانا عاشقين .

فلما كان الغد ، مرت (عتبة) فعرض لها صاحبها ، فقال له الخدم : اتبعنا ، فتبعهم ، فحضت به إلى منزل خليط لها يزار . فلما جلست دعت به فقالت له : يا هذا ، إنك شاب ، وأرى لك أدباً ، وأنا حرمة خليفة . وقد تأتيتك ، فإن أنت كفت وإلا أنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين ، ثم لم آمن عليك .

فقال لها أبو المتاهية : فاعلى ، بأبى أنت وأمى ، فإنك إن سفكتِ دمي أرحمتنى . فأسألك بالله إلا فعلت ذلك إذا لم يكن لى فيك نصيب . !

فقالت له : أبقى على نفسك ، وخذ هذه الخمسمائة دينار ، واخرج عن هذا البلد . فلما سمع ذكر المال ولّى هارباً ، فقالت : ردّوه ، وألحّت عليه فيها . فقال لها : جُعِلْتُ فداك ، ما أصنع بعرض زائلٍ من الدنيا وأنا لا أراك ؟ . والله إنك لتبطين يوماً واحداً عن الركوب ، فتضيق على الدنيا بما رَحَبَتْ . فزادت له في الدنانير ، وما زالت تلحُّ عليه فلا يزداد إلا رفضاً .

قليل منك يكفينى :

ومن الطف ما قاله أبو المتاهية فى (عتبة) قوله :

بالله يا خُلوةَ الميئتين زورينى	قبلَ الماتِ ، وإلا .. فاستزيرينى !
هذان أمران ، فاختارى أحبهما	إليك ، أو .. لا . فداعى الموتِ يدعونى
إن شئتِ موتاً ، فأنتِ الدهرُ مالكةٌ	روحى ، وإن شئتِ أن أحيأ ، فأحيينى
يا (عُتْبَ) ما أنتِ إلا بدعةٌ خُلِقَتْ	من غير طين ، وخلقُ الناسِ من طينٍ
إنى لأعجبُ من حبِّ يقرُّبُنى	مما يباعدنى عنه ، ويقصِّبُنى
لو كانَ يُنصِفُنى مما كِلَفْتُ بهِ	إذن .. رضيتُ ، وكانَ النصفُ يُرضينى
يا أهلَ ودِّى . . إنى قد لَطَفْتُ بكم	فى الحبِّ - جَهْدَى - ولكن .. لا تبالونى
الحمد لله ، قد كُنَّا نظنُّكمو	من أرحمِ الناسِ - طراً - بالمساكين
أما الكثير ، فلا أرجوه منك ، ولو	أطعمتِنى فى قليلٍ كان يكفينى

وله فيها قصائد كثيرة أخرى ، يقول فى إحداها :

ألا يا . (عُتْبَ) يا قمرَ الرِّصافَةِ	ويا ذاتِ الملاحَةِ والنَّظافَةِ
رزقتِ مودَّتى ، ورزقتِ عَطْفى	ولم أرزقْ - فديتك - منكِ راقَةَ
وصرتُ من الهوى دَنَفًا سقيًّا	صريماً كالصريرِ من السَّلَافَةِ
أظُلُّ إذا رأيتُكَ مُسْتَكِينًا	كأنَّكَ قد بُعِثْتَ على آفَةِ

ومن قوله فيها أيضاً :

قال لي أحمد ، ولم يدر ما بي أنحب النداء (عتبة) حقاً ؟
فتنفس ، ثم قلت : نعم ، حباً جرى في العروق ، عرفاً فمرقاً
لو تجسّين يا (عتبة) قلبي لوجدت الفؤاد قرحاً . . تفقاً
قد لعمري ملّ الطيب وملّ الـ أهل متى ، مما أقامى وألقى
ليئسى مت فاسترحت ، فإني أبداً - ما حيت - منه ملقى

وفيه يقول :

(عتب) ما للخيال خبريني ومالي ؟
لا أراه . . . أنا زائراً . . . منذ ليالٍ
لو . . . رآني صديق رقى لي ، أو رنى لي
أو . . . يراني عدوى لان من سوء حالي

من الحب إلى الزهد :

وحدث أبو العباس : أحمد بن يحيى ثعلب ، قال :

كان أبو العتاهية قد أكثر مسألة الرشيد في (عتبة) - فوعده بتزويجها ، وأنه سيسألها في ذلك فإن أجابت جهّزها له وأعطاه مالا عظيماً . ثم إن الرشيد سنع له شغل استمر به ، فحجب أبو العتاهية عن الوصول إليه . فدفع إلى (مسرور) الكبير ثلاث مراوح ، فدخل بها على الرشيد وهو يتبسّم ، وكانت مجتمعة ، فقرأ على واحدة منها مكتوباً :

ولقد تسنّت الرياح لحاجتي فإذا لها من راحتيك شيم
فقال الرشيد : أحسن الحديث . إذن . . على بالثانية . وكان مكتوباً عليها :

أعلقت نفسي من رجائك ماله عنق يحث إليك بي ، ورسم

فقال الرشيد : على بالثالثة ، وكان مكتوباً عليها :

ولمّا استيأست ، ثم أقول : لا إن الذي ضمن النجاح كريم

فقال الرشيد : قاتله الله ، ما أحسن ما قال ، ثم دعا به ، وقال له : قد ضمنت لك يا أبا العتاهية ، وفي غدٍ تقضى حاجتك إن شاء الله ، وبعث إلى (عُبَّة) وقال لها : إن لي إليك حاجة ، فانتظريني الليلة في منزلك .

فأكبرت (عتبة) ذلك وأعظمته ، وصارت إليه تستعفيه ، فحلف ألا يذكر لها حاجته إلا في منزلها .

فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه ، فقال لها : لست أذكر حاجتي أو تضمين قضاءها ؟ قالت : أنا أمتك ، وأمرك نافذٌ فيّ .. فيما خلا أمر أبي العتاهية ، فإني حلفت لأبيك رضى الله عنه - بكل يمين يحلف بها برٌّ وفاجر . وبالمشي إلى بيت الله الحرام حافية ، كلما انقضت عني حجةٌ وجبت على أخرى ، لا أقصر على الكفارة ، وكلما أفدتُ شيئاً تصدّقت به ، إلا ما أصلي فيه .

وبكت بين يديه ، فرق لها ورحمها ، وانصرف عنها .

وغدا عليه أبو العتاهية ، فقال له الرشيد : والله ما قصرت في أمرك ، ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك . وشرح له الخبر .

قال أبو العتاهية : فلما أخبرني الرشيد بذلك ، مكثت ملياً لا أدري أين أنا قائم أو قاعد ؟ قلت : الآن يئست منها إذ ردتك ، وعلمت أنها لا تجيب أحداً بعدك .

ثم لبس أبو العتاهية الصوف ، وترهّد ، وقال في ذلك شعراً كثيراً ، منه قوله :

قطعت منك جبالَ الآمال وحططتُ عن ظهر المطى رحالي
ووجدتُ بردَ اليأس بين جوانحي فننيتُ عن حلٍّ وعن ترّحّالٍ

وروى أبو سلمة الغنوي أنه قال لأبي العتاهية : ما الذي صرفك عن قول النزال إلى قول الزهد ؟ فقال أبو العتاهية : إذن والله أخبرك ، إنني لما قلت :

اللهُ بيني وبينَ مولاي أبدتُ لي الصدّ والملاّلاتِ
منحنيهاً مهجيتي وخالصتي فكان هجرانها .. مكافاتي !
هيّمني حبها ، وصيرني أحدىثةً في جميع جاراتي

رأيت في المنام تلك الليلة ، كأنّ آتياً أتاني فقال : ما أصبت أحداً تدخله بينك وبين عُتْبَةِ ، يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى ؟ .. فانتبهت مذعوراً ، وتبت إلى الله تعالى من ساعتى من قول النزل .

مَعِيَ بَيْنَ أَضْلُعِي :

المحبة هي بذلك المجهود فيما يرضى الحبيب^(١) . وقيل : هي سكون بلا اضطراب ، واضطراب بلا سكون . يضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوه . ولا يزال يضطرب شوقاً إليه حتى يسكن عنده . وهذا معنى قولهم : هي حركة القلب على الدوام إلى المحبوب ، وسكونه عنده . وقيل : هي مصاحبة المحبوب على الدوام . كما قيل :

ومن عجبٍ أَنِّي أَحْنُ إِلَيْهِمْ وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ لَقِيتُ وَهُمْ مَعِيَ
وتطلبهم عيني وَهُمْ فِي سَوَادِهَا ويشتاقهم قلبي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلُعِي

يرى الفؤاد الروحين يتمزجان :

وقال ابن الرومي :

أعانقُهَا وَالنَّفْسُ بِمَدُّ مَشْوَقَةٍ إِلَيْهَا . وهل بَمَدِّ الْعِنَاقِ تَدَانِ ؟
وَأَلْتَمِسُ فَاهَا كَيْ تَزُولَ صَبَابَتِي فَيَسْتَدُّ مَا عِنْدِي مِنَ الْخَفَقَانِ
وَلَمْ يَكْ مُقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوَى لِيَشْفِيَهُ مَا تَرَشَّفَ الشَّفَتَانِ
كَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يَشْفِي غُلِيلَهُ سَوَى أَنْ يَرَى الرُّوحَيْنِ يَتَمَزَّجَانِ

(١) في روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٢٩ .

لئن ساءنى لقد سرتنى :

وقال عبد الله بن الدمينه :

ولو قلت : طأ فى النار، أعلم أنه
لقد متُّ رجلى نحوها ... فوطئتها
لئن ساءنى أن نلتينى بمساءة
رضاً لك أو مُدنٍ لنا من وصالك
هُدى منك لى، أو.. ضيلة من ضلالك
لقد سرتنى أننى خطرتُ ببالك

العشق عفة ونزاهة :

قال الشاعر :

إذا كان حظُّ المرء ممن يحبُّه
حديثٌ كماءِ المزنِ بين فصوله
ولم فم عذب اللثاتِ، كأنما
وما العشقُ إلا عفة ونزاهة
وإنى لأستحي الحبيب من التى
حراماً، فخطى ما يجل ويَجْمَلُ
عتاب به حُسْنُ الحديثِ يُفَصِّلُ
جناهن شهد فت فيه القرنفلُ
وأنس قلوب أنسهن التغزلُ
تُربُّ، وأدعى للجميل فأجلُ

الطرف رسولٌ رائد للقلب :

قال الأصمى : رأيت جارية فى الطواف كأنها مهابة ، فجعلت أنظر إليها وأملأ عيني
من محاسنها ، فقالت لى : يا هذا ما شأنك ؟ قلت : وما عليك من النظر ؟ فأنشأت تقول :
وكنت متى أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً ، أتعبتك المناظرُ
رأيت الذى لا كله أنت قادرٌ عليه ، ولا عن بعضه أنت صابرُ

وقال الفرزدق :

تَزَوَّدَ مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَدْعُ لَهُ
فَوَادًا وَلَمْ يَشْعُرْ بِمَا قَدْ تَزَوَّدَا
فَلَمْ أَرَ مَقْتُولًا ، وَلَمْ أَرَ قَاتِلًا
بَغِيرِ سِلَاحٍ مِثْلِهَا حِينَ أَقْصَدَا

وقال آخر :

وَمَنْ كَانَ يُؤْتَى مِنْ عَدُوٍّ وَحَاسِدٍ
فَأَيُّ مَنْ عَيْنِي أُتِيتُ وَمَنْ قَابِي
هَذَا عَتُورَانِي : نَظْرَةً هَمَّ فِكْرَةً
فَمَا أَبْقِيَا لِي مِنْ رِقَادٍ وَلَا لَبًّا

وقال ابن المعتز :

مَتِّمٌ يَرَعَى نَجْمَ الدُّجَى
عَيْنِي أَشَاطَتْ بَدَى فِي الْهَوَى
يَبْكِي عَلَيْهِ رَحْمَةً عَازِلُهُ
فَابْكُوا قَتِيلًا بِمَضِهِ قَاتِلُهُ

وقال الأرتجاني :

تَمْتَعْتُمَا يَا مُقَلَّتِي بِنَظْرَةٍ
أَعْيَنِي كُفًّا عَنْ فَوَادِي فَإِنَّهُ
وَأُورِدْتَمَا قَلْبِي أَمْرًا الْمَوَارِدِ
مَنْ الظُّلْمُ سَمِعُ اثْنَيْنِ فِي قَتْلِ وَاحِدِ

وقال آخر :

عَاتَبْتُ قَلْبِي لَمَّا
فَأَلَزَمَ الْقَلْبُ طَرَفِي
رَأَيْتُ جِسْمِي نَحِيلًا
فَقَالَ طَرَفِي لِقَلْبِي
وَقَالَ : كُنْتَ الرَّسُولَا
فَقُلْتُ : كُفَّا جَمِيمًا
بَلْ كُنْتَ أَنْتَ السَّوُولَا
تَرْكَبَانِي قَتِيلًا !

لذّة الحبّ كلّها :

قال الشيخ شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيمّ الجوزيّة :

« ليس للقلب والروح لذّة ولا أطيبُ ، ولا أحلى ولا أنعم ، من محبة الله ، والإقبال عليه ، وعبادته وحده ، وقرّة العين به ، والأُنس بقربه ، والشوق إلى لقائه ورؤيته . وإنّ مثقال ذرّة من هذه اللذّة لا يُعَدّل بأمثال الجبال من لذّات الدنيا » .

وقال بعض العارفين : « مَنْ قرَّتْ عينُهُ بالله قرَّتْ به كلّ عَيْن . ومن لم تقرّ عينُهُ بالله تقطعتْ نفسه على الدُّنيا حشرات ، ويكفى في فضل هذه اللذّة وشرفها أنّها تخرج من القلب ألَمَ الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا ، حتى إنه ليتألّم بأعظم ما يلتذّ بها أهلُها ويفرّ منه فرارهم من المؤلم . وهذا موضعُ — الحاكم فيه الذّوق لا مجرد لسان العلم » .

وكان بعض العارفين يقول : مساكين أهل الدُّنيا ، خرجوا من الدنيا ولم يدوقوا طيب نعيمها . فيقال له : وما هو ؟ فيقول : محبةُ الله والأُنس به والشّوق إلى لقائه ، ومعرفة أسمائه وصفاته .

وقال آخر : والله إنه ليمرُّ بالقلب أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنّة في مثل هذه الحال ، إنهم لفي عيشٍ طيبٍ . وأنت ترى محبةً من محبته عذاب القلب والروح كيف توجب لصاحبها لذّة يتمنى معها أنه لا يفارق من أحبه . كما قال شاعر الحماسة :

تشكّى المحبّون الصّباةً كيتّيتني تحمّلتُ ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذّة الحبّ كلّها فلم يلقها قبلي حبٌّ ولا بعدى !

أَحْسَنْتَ زَيْدِي :

قال عبد الله بن المبارك : عشق هارون الرشيد جاريةً من جواريه ، فأرادَهَا ، فقالت :
إِنَّ أَبَاكَ مَسْنَى . فشغفَ بِهَا ، وقال فِيهَا :
أرى ماءً وبى عطشٍ شديدٌ ولكن لا سبيلَ إلى الورودِ
أما يكفيكَ أَنَّكَ تملكينى وأنَّ اللّاسَ كلهمُ عبيدى
وَأَنَّكَ لَوَ جهدتِ على تلافِي لقلتُ من الرِّضَا : أحسنتِ زَيْدِي

لَذَّةُ اللِّقَاءِ شِفَاءُ :

وذكر المتنبى أن شاباً من ولد عثمان ، وشاباً من ولد الحسين ، خرجا يريدان موضعاً لهما ،
فنزلا تحت سَرَحَةٍ ، فأخذ أحدهما ورقةً فكتب عليها :
خَبْرِينَا - خَصَصْتِ بِالغَيْثِ يَا سَرُّ حُ ، بِصَدَقٍ ، وَالصَّدَقُ فِيهِ شِفَاءُ
وكتب الآخر :

هل يموتُ المحبُّ من أَلَمِ الحُبِّ بٌ ويشقى من الحبيبِ اللِّقَاءُ
ثم مضيا ، فلما رجعا وجدا مكتوباً تحت ذلك :
إِنَّ جَهْلًا سَوَّاءَكَ السَّرَحَ عما ليس يوماً عليك فيه خفاءُ
ليس للعاشقِ المحبُّ من الحُبِّ بٌ سوى لَذَّةِ اللِّقَاءِ شِفَاءُ

دعاء في الطواف :

وقال أبو المنجاب : رأيتُ في الطواف فتى ، نحيف الجسم ، بين الضعف ، يلوذ ويتموّد ويقول :

وددت بأنّ الحبّ يجمع كلّهُ فيقذفُ في قلبي ، وينلقُ الصّدْرُ
فلا ينقضي ما في فؤادي من الهوى ومن فرحى بالحبّ أو ينقضي العمرُ

فقلت : يا فتى ، ما لهذه البنية حُرمةً تمنعك عن هذا الكلام ؟ فقال : بلى والله ، ولكنّ الحبّ ملأ قلبي بفرح التذكّر ، ففاضت الفكرة في سرعة الأوبة إلى من لا يشدّ عن معرفة ما بي . فتمنّيتُ المنى . والله ما يسرُّني بما في قلبي منه ما فيه أمير المؤمنين من الملك . وإنّي أدعو الله أن يثبتهُ في قلبي عمري ، ويجعله خيماً في قبري ، دريتُ به أو لم أدّر . هذا دعائي ، أو أنصرف من حجّتي . ثم بكى . فقلت : ما يبكيك ؟ قال : خوف ألا يستجابَ دعائي ، وله قصدت ، وفيه رغبت !

محبة الأعداء :

من الكلمات المأثورة عن السيّد المسيح عليه السلام قوله : « أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ » .

وقال دِعبِل الخزاعي :

أشبهتُ أعدائي فصرّتُ أحبّهم إذ كان حظّي منك حظّي منهم
أجدُ الملامةَ في هوائِكَ لذينة حبّاً لذكركِ فليكني اللومُ

وقال آخر :

مَنْ كان يشكر للصدّيق فإنّي أحبُّو بصالحِ شُكْرِي الأعداء
هم صيرُّوا طَلَبَ المالِ دِينِي حتى وطئتُ بَنَمَلِي الجوزاء
ولربّما انتفع الفتى بمُدَّوهِ والشمّ - أحياناً - يكون شفاء

وقال آخر :

عِدَايَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَىَّ وَمِنَّةٌ فَلَا قَطْعَ الرَّحْمَنِ عَنِي الْأَعَادِيَا
هُمُ بِحُثْوَا عَنْ زَلَّاتِي فَاجْتَنِبْتُهَا وَهُمْ نَافِسُونِي فَاکْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

وقال أحد الشعراء :

سَرَرْتُ بِهَجْرِكَ لَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ لِقَابَكَ فِيهِ سُرُورَا
وَلَوْلَا سُرُورُكَ مَا سَرَرَنِي وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورَا

المصادر والمراجع

جميع المصادر والمراجع مأخوذة من كتب مطبوعة ومخطوطة من رصيد الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية وهي :

١٨	التبريزى على الحماسة	١	العقد الفريد
١٩	سحر العيون	٢	خلاصة الأثر
٢٠	فوات الوفيات	٣	أمالى أبى القاسم الزجاجى
٢١	اليتيمة للشعالبي	٤	الإسعاف شرح شواهد الكشف
٢٢	بنية الوعاة	٥	المناف والمسنوب
٢٣	كتاب الترقيص ضمن كتاب	٦	الحيوان للجاحظ
	اتفاق المباني واقتراح المعاني	٧	تفتح الطيب
٢٤	إرشاد الأديب	٨	وفيات الأعيان لابن خلكان
٢٥	الأغاني	٩	خزانة الأدب للبندادى
٢٦	العزير المحلى	١٠	لوعة الشاكى ودمعة الباكي للصفدى
٢٧	علم الدين لعلى باشا مبارك	١١	طوق الحمامة فى الألفة والألاف
٢٨	الروض الأنف	١٢	سبعة المرجان
٢٩	الكامل لابن الأثير	١٣	شرح شواهد التحفة الوردية
٣٠	بدائع الفوائد	١٤	عيون التواريخ
٣١	روضة الأعيان للتراجم	١٥	خاص الخاص للشعالبي
٣٢	روضة المحبين ونزهة المشتاقين	١٦	مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور
		١٧	أمالى أبى على القالى

فهرس

كتاب الحب والجمال عند العرب

صفحة		صفحة	
٢٨	أنواع الحب	٣	تمهيد لمقدمة الكتاب
٢٨	ضروب المحبة	٤	دواء مأثور
٢٨	حب الولد	٥	كلمة اللجنة
٣٠	حب الأيامي واليتامي	١٣	صفات الحب وأغراضه
٣١	أمثال في الحب	١٣	الحب ما هو
٣٢	حجة بالنة	١٤	الحب والمحبوب
٣٣	حب الأزواج	١٦	عشق الشرف وعشق الجمال
٣٣	زواج النبي من خديجة	١٧	أحلام المحبين
٣٤	حب خديجة للنبي وتقديره لها	١٧	الحبيب الأول والحبيب الآخر
٣٥	خير متاع الدنيا المرأة الصالحة	١٨	الحب مع اختلاف الدين
٣٦	السيدة سكينه بنت الإمام الحسين	١٩	الحب في كل حال
٣٨	عاتكة بنت زيد	٢٠	حب النساء والمال
٤١	زواج امرئ القيس	٢٣	الحب خضوع النفس
٤٣	ولاء أم عقبة لابن عمها غسان	٢٤	أشقى الناس أهواها
٤٤	زواج حاتم الطائي	٢٥	رابعة العدوية
٤٦	حب سحيم لعائشة بنت طلحة	٢٥	الحب أحسن المعاصي
٤٧	الثريا وعمر بن أبي ربيعة	٢٦	الموى قدر
٤٩	أبو الأسود الدؤلي وامرأته وابنهما		
٤٩	المجرد والمرأة التي تبعها		

صفحة		صفحة
٧٦	الغزل ووصف النساء	٥١ الشعراء العشاق
٧٦	الغزل والتغرل والفرق بينهما	٥١ جميل بثينة
٧٦	ياليل الصب متى غده	٥٣ كثير عزة
٧٨	استحسان وضاعة الوجه	٥٤ عمر بن أبي ربيعة
٧٩	كواكب لا كواكب	٥٥ من شعر أمية بن الصلت في الغزل
٨٠	كل فتاة بأبيها معجبة	٥٦ حب امرئ القيس
٨١	أصل بليتي من قد غزاني	٥٧ ذو الرمة وميعة
٨٢	تشبيب عمر بن أبي ربيعة	٥٧ توبة وليلى الأخيلية
٨٣	صبح الشيب يدل على ليل الشباب	٥٩ عبد الله بن طاهر وجاريته
٨٣	الشاعر الغزال	٦٠ بحر هوى ليس له شط
٨٤	غزال قد غزا قلبي	٦٠ حب زينب بنت إسحاق النصراني
٨٥	غرام أم جنون	٦١ التائب من الحب
٨٦	سلموس وسلمسة	٦٢ الحب والجمال
٨٧	عاتكة بنت معاوية	٦٢ حب امتداح النساء
٨٨	وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح	٦٣ أعرابي يصف امرأة
٨٩	وصف جارية المنذر إلى أنوشروان	٦٤ الوصف من المشاهدة
٨٩	فارس عربي جميل	٦٦ أسنان النساء
٩١	غنيه : شحاذه	٦٦ دارة يلعب فيها البدر
٩٢	العيون	٦٧ المرأة والطيب
٩٢	لأعذب العين	٦٧ نتف الوجه بالخيط
٩٣	معاني لفظ العين	٦٨ تشبيه المرأة ببدر السماء
٩٥	وصف العين وأسماء أجزائها	٦٨ لقاء فتى جميل الوجه في الجنة
١٠٠	آفة النظر وغائلته	٧٠ تكنى المرأة بالشاة أو البيضة
		٧١ في أسماء النساء

الصفحة		الصفحة
١٤٠	عداوة النساء	١٠٢ تعدد الزوجات والأزواج
١٤٠	طاعتهن تردى العقلاء وتذل الأعضاء	١٠٢ هند وأبو سفيان
١٤٣	بنات الأربعين من الرزايا	١٠٢ حكمة التعدد في الإسلام
١٤٤	طرائف عن الحب	١٠٥ المرأة التي تزوج عليها زوجها
١٤٤	حيلة عاشق	١٠٦ عدم زواج الرجل بمن يهواها
١٤٥	بين الحب والمال	١٠٦ رؤية الرجل المرأة عند تزوجها
١٤٦	قليل منك يكفيني	١٠٨ رايات من خمر النساء
١٤٧	من الحب إلى الزهد	١٠٩ كشف وجه المرأة في الإحرام
١٤٩	معي بين أضلعي	١١٠ المرأة لمبة زوجها
١٤٩	يرى الفؤاد الروحين يتزجان	١١٠ مات زوجها فتزوجت
١٥٠	لئن ساءنى لقد سرنى	١١٢ وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها
١٥٠	العشق عفة ونزاهة	المتوفى
١٥٠	الطرف رسول رائد للقلب	١١٣ القبلة وإباحتها
١٥٢	لذة الحب كلها	١١٥ محاسن الخلق والخلق
١٥٣	أحسن زیدی	١٢٢ ما قيل في الأسماء
١٥٣	لذة اللقاء شفاء	١٣٢ ما قيل في المهن والحرف
١٥٤	دعاء في الطواف	
١٥٤	محبة الأعداء	





